
LASHEEN
BALD WOMEN CLUB
شيرين هنـائي
لاشين
الكتاب التاسع ـ نادي الصلعاوات
KOTOPIA
PUBLISHING
HOUSE
كتوبيا
روايـة

مقدمة موجزة

تتذكرون أنني فقدت قدرتي على رؤية ما يفعل الآخرون أو ما فعلوا في الماضي بعد تضحيتي بأغلب شايطيني لأنقذ سهير ورفاقها، وهي مغامرة ذكرت ملخصها في بداية الكتاب السابع «دقة ليل»، لكني احتفظ بالرابط بيني وبين سهين، وأعرف ما تفعله وقتما تفعله. لأسباب أخلاقية لا أراقبها طيلة الوقت بالطبع، لكني أحاول إلقاء نظرة عليها من آن للآخر بالإضافة لانشغالي في مشاكل أخرى ماأحكِيها لاحقًا.

الأحداث التالية حكاها لي عدة أطراف من المشاركين فيها، وتلصصت على بعضها بالطريقة العادية، وجمعت بعضها الآخر من خلال ما نُشِر في الصحف، ثم أعادت الكاتبة – اسمها على الغلاف لن أذكره مرة أخرى- كتابة كل شيء في سياق درامي.

آدم لاهين

* * * * *

الفصل الأول

الليل -١-

المنيل- القاهرة- ديسمبر ٢٠٢٢

تستيقظ سهير في الثامنة صباحًا...

تجلس على الفراش...

تنظر إلى يمينها، ترى رجاء أختها...

تنظر إلى الكومود عن يسارها... هاتفها المحمول لم يرن.لا رسائل. لا شيء...

تقوم سهير مرتدية جلبابها الثقيل الذي لا ترتدي مثله في بيتها –وبيت أسامة - لكنها تحب ارتداءه مع أختها على سبيل التشبه بها. تدس قدميها في خفيها وتتجه إلى المطبخ الفسيح المشمس.

رائحة الخميرة والزبد تفوح منه أكثر من أي طعام آخر. هواية رجاء في الخَبز طغت برائحتها المحببة على حياتها الوحيدة الخاوية. تغلي سهير الحليب وتشرُد في النافذة خلف الموقد. من خلال الفرجات بين العمارات ترى لمحة رمادية لامعة من ماء النيل.

تعود إلى حجرة النوم لتجد رجاء قد استيقظت بدورها وراحت تدهن مرهم المفاصل. رجاء خمسينية، لكن إصابات جسدها وأوجاعه تزايدت منذ كانت في نهاية الأربعينات، بعد وفاة زوجها ورفيق عمرها حسين.

- ماذا تفعلين يا سهير؟ لماذا استيقظتِ مبكرًا؟

- اعتدت على هذا.

- الخير في البكور، رغم أن الثامنة وقت متأخر بالنسبة لي.

تغتسل رجاء ثم تغير ملابسها إلى ملابس الخروج لترشف كوب الشاي بالحليب وهي تنظر إلى خفيها المنزليين في قدميها وتفكر

فيما ستقول، لكن سهير تقاطعها:

- أعتقد أنني سأفتتح ستوديو تصوير في القاهرة.

- والبرنامج؟

- ليُكمله مهاب وحده إن أراد، أو ليكمله مع لاشين.

- لا تسيئي فهمي يا سهير... إن كنت ستكفين عن فعل ما تسبب في مشاكل بينك وبين أسامة، فلماذا لا...

- لا أعود إلى طنطا؟ رجاء، هل اتصل بي أسامة منذ رحلت إلا ليسأل عن مكان هذا الشيء أو ذاك في البيت؟ هو يتعمد تجاهلي، ويتعمد تجاهل السؤال عن أحوالي هو ينتظر عودتي إلى طنطا كي يغادر هو البيت إلى دسوق حيث سيقيم مع قريبه محمد الصاوي. لن أعتذر له يا رجاء فأنا لم أخطئ في شيء.

- وقرارك بالابتعاد عن البرنامج؟

- اقتنعت بما يقول لاشين، لا فائدة تُرجى من معرفة المستمعين بما يدور حولهم من أهوال. لقد سئمت يا رجاء وأريد أن أعيش في هدوء. سأنهي تسجيل الحلقتين المتبقيتين وكفى.

دسّت سهير وجهها في كوب الشاي، ونظرت إلى هاتفها المحمول تعبث فيه حتى وجدت إذاعة تتابعها على الإنترنت، تذيع أغاني لبنانية لا تمثل لها ذكريات ما.

«كل الأحاديث ما بتفيد، ما دامك معي، والأسوأ مش وحيد.

وحيد مش وحيد»

ضربت رجاء برفق على ركبتها، ثم قامت تنتعل الحذاء الرياضي منخفض الكعب، وتتوكأ على عكازها متجهة نحو باب الشقة.

«ومشروعك معي، ع الأكيد مش أكيد. وبعيد.»

- سأكون في المتجر يا سهير. مُرّي عليّ حين... حين تنتهي.

لا تعرف رجاء ماذا ستفعل أختها، لكنها تتعامل معها بحرص كي لا تبدو كأنها تريد التخلص منها وإعادتها لزوجها.

لرجاء متجر يبيع المخبوزات في المنيل، يقع أسفل البناية التي تسكن فيها. ليس متجر حلوى كبيرًا مما يطلقون عليه مسميات إفرنجية «بيكري» أو «باستري»، ولا هو بسيط مما يطلقون عليه «فرنًا إفرنجيًا».

هو متجر من الزمن الغابر يحوي فاترينة عرض ذات سخان تُعرَض فيها المخبوزات التي تصنعها رجاء بنفسها بمساعدة شابة رقيقة الحال تدعى نورا، وهي التي تُنظفه كل صباح، ثم تتولى مهمة تقديم المأكولات للزبائن وصب القهوة والشاي لهم في أكواب ورقية.

في مواسم معينة، تتفنن رجاء في خبز الفطائر الألمانية والإيطالية المميزة لاحتفالات رأس السنة في أوروبا، فيعبق بيتها برائحة الفانيلا وقشر البرتقال المسكّر. في عيد الفطر تصنع رجاء كميات محدودة من الـ«كحك» بالسمن بالبلدي، على وصفة الحاجّة مريم

زوجة عمها، وتظهر في المتجر أصناف البسكويت الذي يشتهر به ريف مصر ذاك الذي يُشكَّل باستخدام ماكينة فرم اللحم اليدوية.

بعد مراقبتي لرجاء -أنا لاشين- بعض الوقت، بدأت أشعر أنها امرأة مميزة حقًا، كأنها قطعة من أرقى شوارع مصر وأطيب حقول ريفها. رائحتها نفسها تُجمدني للحظات، وأكاد أقسم أنني سأرى أمي في أي لحظة.

ثمة مقهى جديد افتتحته امرأة أخرى راقية، في شارع من شوارع المنيل المُطلة على النيل، وهو المقهى الذي كنت أجلس فيه لأكتب الكتاب السابق، ولأجاور سهير علّني ألمحها صدفة.

قابلت سهير هناك مرتين، في المرة الأولى قالت لي أن أختها ترتاب في شيءٍ ما، وفي المرة الثانية بكت، ورحلت بعدما قررت أن تنهي علاقتها بالبرنامج.

دعونا نعد إلى الوقت الذي قابلت فيه سهير وأختها في المقهى الراقي، وكان ذلك في النصف الثاني من ديسمبر ٢٠٢٢...



-٢-

المنيل - ديسمبر ٢٠٢٢

كان المقهى المُسمى بـ«نيكس»، متجرًا للخيوط والأقمشة في فترة ما قبل ثورة يناير، ثم أغلقه صاحبه عامين، ثم أجره لأكثر من

مستأجر على مر السنوات الماضية، حتى وقع تحت يد السيدة التي تشبه الفنانة يسرا، وحوّلته إلى مقهى راق، مطلي من الخارج بالأسود، لافتته التي تحمل اسم نيكس مصنوعة من مادة ذهبية براقة. للمتجر واجهة زجاجية على ناصيتين، تكشف عن المقاعد الخشبية السوداء بالداخل، والمناضد الحديدية المزخرفة، وثلاجة العرض التي يتراص فيها الكعك والمخبوزات، وخلفها ماكينة صنع قهوة إيطالية ضخمة لم أر مثلها إلا في بعض مقاهي إيطاليا العتيقة.

رواد المقهى من فئة مختلفة قليلًا، فلا ترى من بينهم شابًا ولا مراهقًا، قائمة المأكولات والمشروبات لا تحوي شيئًا مما يحبه الشباب، فالمأكولات كلاسيكية للغاية لا وجود للكيك الذي تنفجر أمعاؤه بالشوكولاتة، ولا وجود للمشروبات المتوجة بنصف متر من كريمة الخفق وبسكوت اللوتس.

حين ذهبت رجاء لمقابلة مستأجرة المقهى –مدام كوكو- لتعرض عليها منتجاتها، استقبلتها السيدة خلف الكاونتر وأحضرت لها القهوة الإيطالية التي يطفو على سطحها شريحة ليمون –قهوة رومانية أو رومانو كما يطلقون عليها- فشربتها رجاء من باب المجاملة، وتسببت لها في إمساك دام أسبوعًا. لكن في النهاية رفضت السيدة كوكو برقة عرض رجاء وقالت أن للمكان خصوصية قد تتعارض مع خصوصية مخبوزات رجاء المنزلية. جُرحت كرامة رجاء واعتبرت هذا الرفض تقليلًا من جودة مخبوزاتها، وبدأت تنظر

لكل شيء حول نيكس بشيء من الكراهية.

تربعت رجاء على الفراش جوار سهير وجهاز التحكم في التلفاز بين أصابعها، تغير القنوات بلا هدف وتقول لسهير:

- لماذا تصر على قائمة الطعام المملة هذه؟ ليس هذا ذوقنا في مصر خاصة القهوة بالليمون. هل ذقتها؟

- لا يا رجاء. لكنها حُرة في مقهاها.

- هل رأيت رواد المكان؟ كم يدفع منهم في الجلسة الواحدة؟ المرء لن يقضي أكثر من ساعتين في مكان ممل كهذا. لماذا لا تقدم الغداء أو الشطائر؟ لا يوجد لديها حتى خدمة الإنترنت الهوائي.

- هي حرة يا ريجو. لا تشغلي بالك. أنت أيضًا لا تقدمين شيئًا مختلفًا في متجرك.

- بل أقدم. حين اقترحت عليّ نورا أن أصنع شطائر كي يسند بها الموظفون قلوبهم في الصباح، فعلتها. أقدم الشاي الذي يفضله المصريون. دعيني أفكر في إمكانية إضافة منضدة أو اثنتين لخدمة من يريد المكوث في المكان قليلًا. هل أصنع الآيسكريم في الصيف؟

شردت رجاء قليلًا في وجه محمود يس على الشاشة، ثم قالت لسهير في جدية:

- هل رأيت اللوحة خلف الكاونتر

- أي لوحة؟

- آه.. كنت مشغولة مع لاشين... عمومًا اللوحة أكبر من أن تلاحظ، تغطي الحائط كله فلا تستوعبين وجودها إلا إذا دققتِ فيها.

حاولت مهير استرجاع المشهد، فلم تتذكر إلا وجود شيء ملون ضخم يحتل الحائط خلف الكاونتر وماكينة القهوة.

- يا مهير، اللوحة عبارة عن آلاف من بكر الخيوط الملون. من قد يغطي حائط مقهى ببكرات خيوط؟!

*****

-٢-

زارت رجاء مقهى نيكس مرة أخرى وقد تبعت فضولها، فسألت كوكو مباشرة:

- من صنع لك هذا الديكور؟

- لم يصنعه أحد. كان موجودًا منذ البداية، صاحب المحل الأصلي اشترط ألا أغير هذا الحائط.

- أجل... لكن الأمر غريب. أعرف أن المتجر كان يبيع الخيوط في الماضي، لكن ما سبب احتفاظه بهذا الديكور؟ لقد تغير النشاط أكثر من مرة عبر السنوات.

- لا أعرف. على العموم تبدو الألوان لطيفة بالنسبة لي.

لكن سرعان ما عاد الشك إلى نفس رجاء مرة أخرى، وقفزت أمام مهير التي كانت تعدل بعض الصور على هاتفها المحمول -تركت الحاسوب المحمول لأسامة- وهي تهتف:

- لقد استأجر عشرات هذا المتجر منذ ٢٠١٢ حتى اليوم، ولم يكن هذا الحائط مغطى بالخيوط إلا في مرتين فقط، حين كان يمارس المحل تجارته الأصلية، وحين استأجرته كوكو هذه.

- وما المشكلة؟ ربما اتفقا على استعادة الديكور القديم.

- ولماذا كذبت عليَّ؟

- ولماذا تضطر لقول الحقيقة يا رجاء وهي لا تعرفك! ربما لم تكذب. ربما أعاد صاحب المكان الديكور إلى سابق عهده قبل أن يؤجره لها.

ظلت رجاء تحرك قدميها كطفلة تريد أن يوافقها الجميع دون تفكير ثم ذهبت تفتح الباب لنورا التي أتت مُحملة بأكياس السكر والنشا. ستسهر رجاء الليلة على كمية مخبوزات مطلوبة خصيصًا لإحدى دور الأيتام، وستنسى كل شيء عن كوكو والخيوط، لتبدأ مهير في الانزلاق بدلًا عنها في هاوية الشك.

* * * * *

اختفت نورا يومين وهاتفها مُغلق.

أخيرًا قررت رجاء أن تذهب إلى حيث منزلها لتعرف ماذا حدث لها ذهبت معها سهير لتوصلها بسيارتها الصغيرة، وانتظرتها أمام البيت البسيط في منطقة مجرى العيون غابت رجاء بالداخل دقائق، ثم خرجت تسب وتلعن، يتبعها رجل حانق يحاول اللحاق بها وهو يهتف :

- لقد كانت تتحجج بمرافقتك دومًا. أين كنت يا «مقصوفة الرقبة»؟ كنت عند مدام رجاء. أين أمضيت الليلة يا من ستأتين لنا بالعار؟ عن مدام رجاء. هذا ما أخذناه منك ومن أمثالك.

تصيح فيه رجاء وهي تلوح بعكازها في وجهه:

- ضع لسانك القذر داخل فمك ولا تنطق حرفًا آخر وإلا أريتك مقامك. أنت تركتها تعمل ليلًا نهارًا ومكثت في البيت كناقصي الأهلية تنتظر راتبها.

- إن كانت ستعمل، فلا بد أن نعرف ما يدخل لها وما تصرفه. الأمور ليست «سايبة».

ركبت رجاء جوار سهير وقالت محذرة من خلال النافذة:

- اسمع.. لو لم تظهر البنت فأنت أول من سأبلغ عنه. لا تنس يا صبحي المحضرين المُسجلين ضدك حين حاولت حرقها مرة، وإلقاءها من الشرفة مرة. سأكون لك بالمرصاد.

وقبل أن يرد صبحي –شقيق نورا- انطلقت سهير وهي تنظر إليه في مرآة سيارتها وترتجف. لم تكن تحب هذه النوعية من الناس

الذين يقلبون المنضدة عليك حين تسوء الأمور ويعلو صوتهم يمنعك من التفكير بمنطقية. رجاء لا تخشى الصوت العالي، ولعكازها استخدام آخر غير الاتكاء عليه، والجميع يخشى هذا الاستخدام.

لكن المشكلة ظلت قائمة، أين نورا؟

في التاسعة مساءً، وجدت رجاء نورا تدق بابها، زائغة العينين شاحبة الوجه. ثمة شيء آخر مختلف فيها لكن رجاء لم تميزه لأول وهلة.

جذبتها إليها وعانقتها، ثم بصوت لائم صاحت:

- أين كنت؟! قلبنا عليك الشوارع والمستشفيات وأقسام الشرطة.

- أنا... موجودة. كنت عند الدكتورة هند الشافعي.

والدكتور هند ليست طبيبة، بل صاحبة ماركة مستحضرات تجميل نصف شهيرة، تبيعها في متجر أنيق في طابق علوي، ترى لافتاته في أنحاء المنيل منذ أعوام. لهند صفحة على فيسبوك وحسابات على إنستجرام وتيكتوك تعرض فيها منتجاتها، ولأنها هي من ابتكرت تركيبة منتجاتها، أسمتها الفتيات بـ«دكتورة هند».

- وماذا كنت تفعلين عندها يومين؟

جلست نورا، ثم أزاحت الحجاب عن رأسها فكشفت عن صلعة براقة بدلًا عن شعرها الناعم الكثيف المعتاد.

شهقت سهين وضربت رجاء صدرها وهي تهتف:

- صبحي من قص شعرك هكذا؟! سأريه...

- ليس صبحي.

عبثت في حقيبتها الصغيرة، ثم أخرجت بطاقة ورقية مطوية ناولتها لرجاء التي قرأت فيها: «مرحبًا بك في نادي الصلعاوات». ثم بخط أصغر: «الآن تتحررن، الآن تأخذن بثأر ضعفكن.»

- من أين لك بتلك الوريقة يا نورا؟ ماذا حدث، انطقي؟

تلكز سهير رجاء لتهدأ، ثم تلف ذراعها حول كتفي نورا وتقول:

- اهدأي، سأصنع لنا جميعًا كاكاو ساخنًا. المهم، هل أنت بخير؟ هل تحتاجين لطبيب؟

تهز نورا رأسها نفيًا، ثم تبكي. بعد ربع ساعة، بدأت نورا تحكي ما حدث منذ يومين لها، ولباقي الصلعاوات...

* * * * *

الفصل الثاني

النسج

-١-

اعتادت نورا المرور من أمام مقهى نيكس منذ افتتاحه في أول شهر نوفمبر عام ٢٠٢٢. أحبت النظر إلى داخل تلك المقاهي وتخيلت

لو أن معها من المال ما يمكّنها من الجلوس في إحداها الحقيقة أن ما يمنعها هو عدم ثقتها في هيئتها وملابسها، لا قلة المال فقط رجاء تجزل لها العطاء، وتعاملها كابنتها حقًا لا مجازًا، لكنها لم تشعر يومًا أنها قادرة على الدخول إلى مكان كهذا دون أن يحملق فيها الناس ثم يبدأوا في المغادرة تقززًا منها.

في صباح، جلست على المقعد المظلل أمام المقهى، تأكل شطيرة، وتستمتع بصوت الموسيقا الصادر عن المقهى، وتتخيل أنها تجلس داخله لا خارجه. لمحت السيدة كوكو -لم تكن تعرف اسمها وقتها- تخرج من المقهى لتلقي كيسًا أسود في صندوق القمامة القريب. تعجبت نورا أنها تتخلص من القمامة بنفسها، وفكرت لو أنها استطاعت أن تعمل وردية ليلية في المقهى بعدما تنهي عملها مع رجاء.

تلاقت العينان، وابتسمت كوكو. هرعت نورا تأخذ منها الكيس وتدخله إلى الصندوق، لكن باقي شطيرتها سقطت منها على الأرض.

- شكرًا لك يا «مَدمُزيل».

لم يبد أن كوكو انتبهت إلى ما حدث. جلست نورا في خيبة أمل تفكر في شراء شطيرة جديدة، أو تنطلق إلى رجاء لترى إن كانت ستعطيها شيئًا تأكله. نورا عزيزة النفس، لم تأكل قط شيئًا من رجاء قبل أن تُقسم الأخيرة عليها أربع مرات.

ما أن قامت نورا، حتى وجدت كوكو تنزل الخمس درجات التي

ترفع المقهى عن الشارع، وفي يدها كوب قهوة وقطعة من مخبوزات ملفوفة في ورقة سوداء رقيقة، تحمل في أحد أركانها اسم نيكس بالذهبي.

- أردت أن أشكرك مرة أخرى. هلا تفضلت بالداخل؟

رقص قلب نورا –التي لم تتجاوز التاسعة عشرة من عمرها- وتبعت كوكو. لم تنتظر أن تقسم عليها أو تُصر ففرصة كهذه قد لا تأتي مرة أخرى. لم تجلس نورا، ظلت واقفة عند أبعد نقطة من زبائن المقهى، تخشى أن ترفع عينيها إلى الموجودين.

لكنها كانت تريد أن تخبئ المكان بصوته ورائحته وصوره في عقلها. تريد أن تعيش دقائق كباقي خلق الله. رأت سيدة في منتصف الثلاثينات، ترتدي عوينات شمسية وردية، وتقرأ من كتاب بلغة أجنبية.

ثمة شابة أصغر من عمرٍ لم أتصور أن يرتاد مكان كهذا، لكنها كانت برفقة رجل يكبرها بعشرة أو خمسة عشر عام، ولم تبد سعيدة أو مرتاحة.

ورأت أربعينيًا أشيب الشعر واللحية، منهمكًا في كتابة شيء على شاشة حاسوب محمول. شعرت بضيق وخوف لكنها لم تكن تعرف سببًا لهذا. بالطبع خمنتم أنها رأتني.

ثم دخل رجل في الخمسينيات يعتمر قبعة «بيريه»، وتحدث قليلًا إلى مدام كوكو، ثم دخلا حجرة جانبية غابا فيها لحظات، قبل أن

يخرجا ويرحل الرجل مسرعًا.

لاحظت نورا كل هذا وهي تشرب القهوة ببطء وتلذذ، وإن كان طعمها يختلف كثيرًا عن القهوة سريعة التحضير الشائعة، المخلوطة بالمبيضات، التي اعتادت أن تشربها في متجر رجاء.

شكرت نورا السيدة كوكو، وهمّت بالرحيل، لولا قالت الأخيرة بصوت هادئ حنون:

- ما بك؟ تبدين متوترة؟

- لا شيء يا سيدتي. أعتقد أنني تأخرت عن عملي.

- وأين تعملين؟

وجدتها نورا فرصة جيدة للتلميح لإمكانية أن تعمل مع كوكو، فقالت لها أن تعمل في متجر المخبوزات المُسمى «زاهر»، وهو أحد معالم المنطقة. أغمضت كوكو عينيها كأنها تتذكر المكان المذكور ثم قالت:

- رائع. أعرف صاحبة المتجر. سيدة راقية، لا بد أنها علمتك جيدًا. إن أحببتِ أن تساعدينا في المقهى هنا فأخبريني. أنا أعمل طيلة اليوم، ولا نغلق المكان أبدًا.

هكذا، لم تخبر نورا رجاء بما يعتمل في عقلها، واتفقت مع كوكو على أن تعمل معها في وردية منتصف الليل ثلاثة أيام أسبوعيًا، وفي وردية العصر ثلاث أيام أخرى.

لم تخبر نورا صبحي عن هذا التغيير وإنما أخبرته أنها ستبيت لدى رجاء ثلاثة أيام أسبوعيًا لأنها توسعت في توزيع المخبوزات وتحتاج إلى من يساعدها في إعداد الكميات الجديدة. ثار صبحي في البداية، ثم هدأ حين أخبرته شقيقته أن راتبها سيزيد ألف جنيه، وهو نصف المبلغ الذي ستتقاضاه من كوكو، لكنه ظن أنه سيأخذ الزيادة كلها.

هكذا، مر أسبوع من أسود الأسابيع التي مرت على نورا، استمر صبحي في الاتصال بها ومهاجمتها رغبة منه في هز ثقتها في نفسها حتى تعترف له إن كان دخلها أكثر مما أخبرته هو لا يريد شيئًا منها إلا المزيد من المال، مع رغبة في فرض سطوة وهمية عليها تريح باله من أنها لن تنحرف أو تجلب له العار وهو ما يتشدق به طيلة الوقت ليحملها ذنب لم تقترفه نورا ستجلب العار عاجلًا أم آجلًا، لكن دعنا الآن نستمتع بالمال الذي تجلبه.

في ليلة من ليالي الوردية المسائية، دخلت نورا المقهى منهكة، وجلست إلى مقعد الكاونتر. لمحت بطرف عينها المحمرة المرأة ذات عوينات الشمس الوردية، وإن لم تكن ترتديها الآن، والأخرى التي كانت تجالس الرجل الأكبر منها، وسيدة أخرى برونزية البشرة، في نهاية الثلاثينات، تنظر إلى الليل بالخارج شاردة.

ماذا تفعل هاته النساء هنا عند منتصف الليل؟

ظهرت كوكو خارجة من ناحية الحجرة الجانبية المجاورة لزينة

الحائط الملونة، تحمل صحفة عليها كعكة، مغروس في منتصفها عود يصدر عنه شرارات مضيئة احتفالية.

قالت وهي تتجه نحو باب المقهى، فتغلقه دفعًا بقدمها ثم تغلق النور الأمامي:

- كل عام وأنا بخير! أنتن المحظوظات اللاتي ميحتفلن مع كوكو الوحيدة بعيد مولدها!

نظرت كل واحدة من الجالسات إلى كوكو، وانتزعت ابتسامة من بين فكي الهموم، وتعالت همهمات تهنئة. قامت نورا تُحضر الأطباق وأدوات المائدة وهي تقول لكوكو:

- كل عام وأنت بخير يا مدام كوكو. لماذا لم تحتفلي مبكرًا وسط زبائنك؟

- من يمكث في نيكس حتى المساء هكذا يعتبره بيته، ونيكس بيتي ولستن ضيوفًا على المكان.

ثم نظرت كوكو نحو السيدة صاحبة العوينات الوردية وأردفت:

- أما أنت فصاحبة مكان قبل الجميع.

ابتسمت المرأة ابتسامة باهتة وغمغمت:

- ليس لي فيه شيء. كل عام وأنت بخير يا مدام كوكو.

- وأنت بخير يا دكتورة هند.

عادت نورا بأدوات المائدة، فأخذتها منها كوكو وبدأت توزع الأنصبة على الأطباق، ثم قالت وهي تناول نورا نصيبها:

- من فضلك، هلا أحضرت زجاجة الفودكا من الخزانة؟ وبعض الثلج.

تجمدت نورا مكانها للحظات، فابتسمت كوكو وجذبتها كي تجلس على الأريكة الجلدية التي تجمعت عليها النساء، وقامت هي تحضر الخمر وخمس كؤوس.

كورت نورا قبضتيها متوترة، ورأت الشابة والمرأة برونزية البشرة تتبادلان النظرات. لا بد أن وقع وجود خمر في المقهى قوي عليهما.

صبت كوكو الخمر الشفاف في الكؤوس وقالت:

- العام الماضي احتفلت بعيد ميلادي في اليونان مع أختي. كل عام نحتفل سويًا، نحن مولودات في نفس اليوم لكن في أعوام مختلفة. هذا العام كنت سأحتفل مع... لنقل صديق مقرب، لكنني اكتشفت أنه لا يستحق أن يكون له مكان في حياتي.

جرعت كوكو الكأس. مدت هند كفًا مرتجفًا مترددًا إلى كأسها. أخذتها وظلت تديرها بين كفيها في شرود وهي تقول:

- لا يستحق أي رجل مكان في حياة أي امرأة.

ضحكت الشابة ضحكة مريرة، وشرعت تأكل الكعك.

قالت المرأة برونزية البشرة:

- لم أتعرف بكن يا بنات. أنا ماريان، أخصائية اجتماعية في مدرسة فرنسية.

قالت هند:

- هند الشافعي. صاحبة ماركة فيمينا لمستحضرات التجميل وعلاج البشرة. متجري في المنيل.

عرفت الشابة نفسها قائلة:

- يارا مجدي. طالبة في كلية الحقوق.

سألتها هند:

- أتعرفين صادق البدوي؟

- دكتور صادق؟ أستاذ حقوق الإنسان؟ طبعًا.

ضحكت هند ضحكة مفاجئة وهي تردد «حقوق الإنسان»، ثم أفرغت الكأس في حلقها فسعلت حتى كادت تخرج روحها.

قالت كوكو وهي تربت على ظهر هند:

- مهلًا... الفودكا ثقيلة.

- سيرة الرجال أثقل!

أكملت هند سعالها، فقالت ماريان:

- سيرتهم قاتلة، لا ثقيلة فقط.

قالت كوكو باسمة وهي ترشف الخمر في أناقة:

- يبدو أنكن تحملن في قلوبكن سخطًا. الحقيقة أنا مثلكن. سعيدة أن من تبقى في المقهى هذه الليلة من النساء فقط.

سألت يارا:

- هل أنت متزوجة يا سيدتي؟

- لم أتزوج قط، وكذا أختاي. لكن لا مانع من وجود رجال في حيواتنا من وقت لآخر. لا مفر من وجود رجال. هم من يصنعون الأحداث.

لم تفهم نورا ما تعني بعبارتها الأخيرة، لكنها تمنت لو تتخلص من الرجل في حياتها، ولا تُدخِل أي رجال إلى حيزها الشخصي مرة أخرى. تذكرت سهير السيدة الأنيقة الرقيقة المثقفة، وما سمعت من أطراف حديث بينها وبين أختها عن زوجها مدرس الجامعة، وكيف يعاملها. يبدو أن الرجال واحد مهما اختلفت خلفياتهم الثقافية.

قالت هند:

- أنا متزوجة، متزوجة من شبح. كيان يهبط على صدري كلما حاولت التنفس، ويختفي كلما احتجت إلى حصن آمن. شبح أسود يتحرك في خلفية حياتي، يلتهم ظلي نفسه. كثيرات يحسدنني عليه، ناجح مرموق ثري، ولكم وددت لو يصل حسدهن إلى درجة إزالته عن الوجود. لماذا يقتل الحسد من نحب فقط؟

قالت ماريان:

- كان لدي كلب صغير أحببته للغاية، وفي أول مرة أعرض صورة له على فيسبوك، أصيب في حادث ومات قيل لي أنه قد حُسد أعتقد أنها صدفة لا أكثر رغم المرار الذي أشعر به في قلبي من وقتها وتأنيب الضمير يأكلني.

صبت كوكو المزيد من الفودكا في كأس هند وكأسها وهي تقول:

- الحيوانات أفضل رفقة للبشر.

قالت ماريان:

- زوجي يكره لاكي، كلبي. ظل يلومني على حزني من وقتها، وينعتني بالعته والعاطفية وقلة العقل.

مدت يارا يدها نحو الكأس ثم سحبتها مترددة وهي تعلق:

- الرجال من بعيد ساحرون، كلوحات لا ترى ضربات الفرشاة فيها إلا حين تقترب أكثر من اللازم، لكنها لوحات من نوع مختلف، ما أن تقترب منها حتى تقع في شباكها، وتتحول حياتك كلها إلى ضربات فرشاة وشقوق وسط ألوان كانت مبهجة في يوم.

سألتها كوكو:

- هل أنت مخطوبة؟ متزوجة؟

- الأمر معقد...

هزت كوكو رأسها ونظرت لنورا، فقالت:

- لست متزوجة أو مخطوبة. لكن في حياتي أخي، وهو رجل كما يبدو... أليس كذلك؟

كانت مرتبكة، لم تستطع أن تعبر عن نفسها كما فعلن بكلمات رشيقة. تساءلت عما تفعله بجلوسها معهن، فكان ردها أن قامت تاركة طبقها على المنضدة. أمسكت كوكو كفها وقالت:

- كلكن ضيفات حفلي الصغير. لا تخجلي من شيء يا نورا. أنت فتاة مكافحة مثلنا. امرأة مثلنا.

جلست النساء الخمس يتسامرن في الظلام على ضوء الشارع الخافت. الشوارع قد غفت. النيل المظلم عبر الشارع يستمع إلى حكاياتهن المريرة عن الرجال، وينصت إلى ضحكاتهن المذبوحة، التي سرعان ما تحولت إلى ضحكات سكارى لا يفقهون ما يقولون.

لا تعرف نورا كيف ولا متى فرغت زجاجة الفودكا، ولا من جاء بالثانية. لا تعرف متى جلست هي على الأرض تضحك وتلتهم ما تبقى من الكعك بيديها، ولا كيف وقفت يارا ترقص فوق المنضدة كما رقصت لمعتز وجماعته، رجالًا ونساءً، على أنغام أغان قديمة بعضها ذا صبغة وطنية «وسط بلدية» كما تراها يارا.

لا تعرف نورا متى بدأ كل هذا تحديدًا، ولا متى انتهى. ثمة فجوة زمنية تسبق صباح اليوم التالي، ثم وجدت نورا نفسها في مدخل بيتها، تحديدًا داخل المسقط الذي يفصله عن المدخل باب خشبي

بلا رتاج.

شعرت ببرودة غريبة، فتحت عينيها فرأت شعاع شمس ضعيفًا ينزل من فتحة المسقط المطلة على السماء. رائحة الرطوبة المخلوطة برائحة الفضلات والصابون ورائحة الطهي من المطابخ الضيقة سيئة التهوية.

انتفضت، وضعت يديها على رأسها فانزلق حجابها إلى الخلف. تحسست رأسها الأصلع البارد. وقفت تطلم خديها وتكتم صرختها. رأت جوار حقيبة يدها وريقة مطوية ترحب بها في نادي الصلعاوات.

لم تجرؤ على العودة إلى شقتها، فغطت رأسها بالحجاب وهرعت إلى المقهى، لتجده مغلقًا، مُسدل الستائر الساعة الثامنة والنصف ولأول مرة ترى نورا المقهى مغلقًا.

لم تكن تعرف مكان أي من النسوة اللاتي حضرن معها الليلة، لكنها تعرف مكان متجر هند الشافعي. المنيل كلها تعرفه.

هرعت إليه وطرقت الباب وقد توقعت ألا تجد أحدًا. جلست على الدرج تهز ساقيها وتقضم أظفارها، تنتظر موعد فتح المتجر في الثالثة عصرًا كما هو مكتوب على اللافتة. مرت دقائق، ثم وجدت باب المتجر يُفتح ببطء، وتطل هند منه مرتدية غطاء رأس صوفيًا. أشارت لنورا أن تدخل، ففعلت سريعًا.

- نورا.. ماذا حدث أمس؟ هل تتذكرين أي شيء؟

- أبدًا. لا أتذكر سوى حديثنا و.. شربنا. يبدو أننا فقدنا الوعي. انظري ما حدث لي.

خلعت الحجاب، وبدا أن هند كانت تتوقع ما رأت إذ خلعت القلنسوة كشافة عن صلعة ناصعة تحتها.

***

قالت نورا لسهير:

- بعد سويعات، جاءت ماريان ويارا إلى المتجر وقد تقابلتا أمام المقهى بعد أن أمضت ماريان الصباح جالسة على المقعد في انتظار رؤية مدام كوكو.

وجدت هند نفسها داخل متجرها بعدما أفاقت، وعاد وعي يارا إليها في مدخل العمارة التي تسكن فيها مع فتيات أخريات في نفس الشقة، وماريان استيقظت في سيارتها.

- وكلهن معهن نفس الوريقة؟

- أجل.

أعادت سهير الوريقة إلى نورا وهي تسألها:

- لماذا لم تبلغوا الشرطة؟

- عن أي شيء نبلغ؟! لقد أمضينا وقتًا في مكان ما بإرادتنا، ثم حدث ما حدث، وإفشاء الأمر ليس في مصلحة أي منا بالطبع. لم يُفتح المقهى من يومها، واتصل كلٌ منّا بذويها تخبرهم ذريعة

لغيابها. ماذا أفعل أنا؟! كيف سأعود إلى صبحي وأنا حليقة الرأس هكذا بعد غيابي غير المبرر؟

عقدت رجاء حاجبيها مُفكرة. هذه أزمة قاسية، والكذب فيها الآن لن يقود إلا إلى مزيد من التعقيدات مستقبلًا. أخيرًا قالت:

- سأتصل به وأخبره أنك فقدتِ الوعي في الشارع، واستيقظت وقد فقدت شعرك.

- كلا! سيظن أن هناك من خطفني وأفقدني شرفي. سيذبحني!

قالت سهير:

- لا مفر من إبلاغ الشرطة يا ابنتي.

- سيقتلني!

- سنحميك. لن تعودي معه إلى البيت.

- سيقتلني!

انفجرت نورا في البكاء. قالت رجاء في غيظ:

- أنا كنت مرتابة في تلك الحيزبون. لا بد أن لها يدًا فيما حدث.

سألت سهير:

- وماذا ستستفيد من قص شعورهن؟

- لا بد أنها تقود منظمة نسوية ما.

- لا أعتقد. الانضمام إلى هذه المنظمات لا يكون بهذه الطريقة.

- هي من كتبت عن نادي الصلعاوات والحرية لا أنا!

- من قال أنها من كتبت الوريقات يا رجاء؟ ألا يمكن أن تكون قد اختفت هي الأخرى بعدما أصابها ما أصابهن؟

حدقت نورا ورجاء في وجه سهير لحظة، وقد أدركتا أن هذا تفسير وجيه.

والآن، لم يتبقَّ إلا حل مشكلة نورا وصبحي.

***

الشكر لله على وجود الشعر المستعار.

انتقت سهير لنورا شعرًا مستعارًا يشبه شعرها الطبيعي. أكدت رجاء على مصففة الشعر ضرورة تثبيت الجُمّة كي لا تنخلع إن قرر صبحي جذب الفتاة من شعرها.

لم أكن أعرف –أنا لاهين- أن الجُمّات صارت تبدو طبيعية للغاية بهذا الشكل إلا لاحقًا، لكن بالطبع ليس لدرجة خداع زوج مُدقِّق.

المهم أن رجاء أشهرت عكازها في وجه صبحي، وحالت بينه وبين أخته وهي تقول:

- أنت السبب فيما حدث لها. من كثرة العمل وقلة الطعام والرعاية الصحية، فقدت وعيها ثلاثة أيام في المستشفى.

- لكن...

- أنت السبب يا صبحي.

- هي أختي وأنا حُر فيها!

جذب صبحي أخته إلى داخل الشقة، فسقطت على الأرض. ركلها في بطنها، فوقفت رجاء بينها وبينه، تدفعه عنها وتهدده بالشرطة.

زحفت نورا على ركبتيها فجذبت مقعدًا بلاستيكيًا صغيرًا طوّحته نحو صبحي، وخرجت تعدو إلى الشارع. مسح صبحي الدماء عن حاجبه، وأطلق سُبّة ثم انطلق خلف أخته.

قالت سهير وهي ترتجف:

- سأتصل بالشرطة.

لم يبدُ أن رجاء قد سمعتها إذا قالت وهي تتكئ على عكّازها:

- الحقي بها يا سهير أنت أخف مني!

في الحارة الضيقة المُتربة، رأت سهير صبحي وهو يجذب نورا من حجابها، فتسقط أرضًا تكاد تختنق. يتحلّق الناس حولهما، يحاول اثنان منهم أن يهدّئا الأخين بينما يشاهد الباقون وصلة تأديب ذكر لأنثاه، وهي وصلة لا يجب أن يتدخل أحد فيها خشية أن يُتّهم في نخوته.

صاحت سهير:

- سأتصل بالشرطة حالًا. اتركها يا صبحي. قد تموت منك وتفقد أنت مستقبلك.

أجاب صبحي وهو يضرب صدره كالشيمبانزي وتبرز عروق رقبته:

- دعيني يا مدام. لا تتدخلي في هذا الأمر لكما حساب آخر معي لاحقًا. العار سيلصق بي أنا لا أنتما.

صرخت نورا أخيرًا والدموع تغرق عينيها:

- وعارك أنت يا صبحي؟ ألن يلحق بي؟ أين شرفك هذا يا آكل مال النساء؟

لطمها مرات متتالية وأمطرها بالسباب حتى سقطت على الأرض فاقدة الوعي. هرعت رجاء وسهير إليها، فأشهر في وجهيهما مطواة صغيرة وهو يهتف:

- اشهدي يا حارة! لا أكون رجلًا من صلب رجل إن خرجت هذه المرأة إلا إلى بيت زوجها أو القبر. لو اقترب مني أحد فلا يلومن إلا نفسه.

ابتعد الناس خطوات إلى الخلف وهم يحاولون تهدئته. جذبها من قذالها وسحبها على الأرض إلى مدخل البيت المتهالك، ينقش الأرض خيط دم ينز من فمها، فيبقى شاهدًا على قلة حيلة الأختين، وجُبن الرجال، وشماتة النساء.

تتكور ماريان على فراشها تحدق إلى الجوربين في قدميها. من آن

لآخر تتحسس الشعر المستعار على رأسها، وتنصت إلى أي صوت بالخارج ينبئ بوصول سيارة زوجها.

تدق حماتها ميرفت على باب الحجرة ثم تتساءل:

- ماذا حدث لك؟ لن أصدق موضوع حالة الوفاة في البلد، تلك التي جعلتك تسافرين وتبيتين في الخارج دون أن تقولي لأحد. من توفي؟ أنا رأيت صور أمك وأبيك على الفيسبوك مع أصدقائهما في النادي.

- طنط.. رجاءً اتركيني وحدي ولنتحدث صباحًا.

تحاول المرأة فتح الباب فتجده مغلقًا:

- لي مع أمجد كلام آخر أفقدته عقله وصار ناقص الأهلية، يصدق ما تقولين دون تفكير كأنك سحرته. سأتصل بأبيك ليرى ابنته التي تمشي (على حلّ شعرها) دون ضابط.

تتحسس ماريان شعرها مرة أخرى، وتبكي.

***

تسكن يارا في حجرة من شقة في الدقي، تشاركها فيها أربع فتيات أخريات، منة، ونهى، وعبير وسامية، كلهن من الريف أو الصعيد. متحفظات، يجدن دومًا مسافة بينهن وبين يارا، ويتساءلن دائمًا عن حقيقة ما تفعل بعد الجامعة حتى وقت متأخر

لكن يارا لم تبت خارج الشقة قط إلا ليلة أمس.

دخلت سامية إليها في حجرتها بعد أن استأذنت، وهي فتاة ممتلئة القوام ذات وجه مريح وردي. يبدو أنها كانت عائدة للتو من درس تحفيظ قرآن تحدّمه لسيدة من الجيران في نفس البناية.

رفعت سامية حاجبيها وهي ترى يارا ترتدي حجابًا مميزًا وتقف في الشرفة الصغيرة ترشف القهوة. ابتسمت وهي بعد واقفة عند الباب وقالت:

- مُبارك يا يارا! هل قررتِ ارتداء الحجاب؟

ابتسمت يارا ابتسامة واهنة وأجابت:

- ادعي لي بالهداية.

- هداك الله وأنار بصيرتك. الجو بارد بالخارج، ادخلي ودعيني أضبط لك الإيشارب.

- لا!

جزعت سامية وتراجعت خطوة وهي تقول:

- كما تريدين. أحضرت في طريقي فطيرًا بالسمن والعسل، لو أحببت يمكنك مشاركتنا العشاء، وإلا أحضرت لك نصيبك.

دخلت يارا من الشرفة واندفعت نحو سامية، فعانقتها وأجهشت بالبكاء.

- ما بك؟! اذكري الله واهدأي!

- لا شيء. فقد أردت عناقًا بلا أغراض.

افترقت يارا عنها وعادت إلى الشرفة. هزّت سامية كتفيها وقالت قبل أن تخرج:

- سأحضر الفطير وآكل معك في الشرفة. الجو ليس باردًا إلى هذه الدرجة.

***

ترتاب هند في زوجها.

ليست ريبة كريبة النساء، ولا خوفًا من علاقات خارج الزواج. لا تعرف هند ما قد يريب في زوجها سوى أنه لا يوجد ما يريب!

يذهب صادق إلى الجامعة صباحًا، ثم يعود لتناول الغداء معها قبل أن تذهب هي إلى متجرها ويختفي هو في مكتبه حتى العاشرة مساء، موعد عودتها. لا توجد علاقة حقيقية بينهما سوى أنهما يفعلان الأمور معًا لا أكثر يشاهدان التلفاز معًا وكل في واديه، يأكلان معًا دون أن يتبادلا حديثًا أكثر حميمية من أخبار العالم والعائلة.

أنجبت هند مرتين، وفي المرتين يموت الطفل في الحضّانة لسبب مجهول. لم تأبه لذلك، فهي ترتاب فيه منذ ليلتهما الأولى، بل منذ خطبتهما، ولا ينقص حياتهما رابط الأطفال.

لو سألت هند ما الذي يجعلها تستمر في زيجة كهذه لأجابتك أنها

تحب الحياة الراكدة معه، تحب الحرية التي يمنحها لها وتحب الوجاهة الاجتماعية التي تناسب علو شأن أسرتها.

لو سألتها، لن تذكر شيئًا عن خوفها من البدايات الجديدة، ومن شماتة الأهل، ومن تغير وتيرة حياتها اليومية الآمنة. هي أسباب قد تبدو لي -أنا لاشين- غير مقنعة لعدم التفكير في الانفصال، لكن يبدو أنها مشاعر تفهمها النساء أكثر.

حين اختفت ليلة أمس، اتصل بها زوجها مرتين ثم توقّف. لم يبحث عنها ولم يسأل مرة أخرى حتى اتصلت هي به وأخبرته أنها تعبت قليلًا في المتجر فأخذت مهدئًا ونامت ولم تشعر بنفسها إلا في الصباح. لم يُعلّق، فقط أخبرها أنه تصوّر هذا، لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تفضل فيها هند المبيت في المتجر بعد العمل.

لو أنه يقلق.. لو أنه يهتم.. لو أنه يغضب، لكفّت هي عن الارتياب. هو حتى لم يلاحظ أنها ترتدي قلنسوة في البيت، ولم يُعلّق حين نامت على الأريكة في المساء التالي، فهو دائمًا يتفهّم تصرفاتها أكثر من اللازم.

تفتح هند قائمة المكالمات في هاتفها المحمول لتجد أسماء يارا وماريان ونورا تتصدرها، ثم تجد من يارا رسالة حديثة من دقائق كتبت فيها:

- «هناك أحد في مقهى نيكس، لكن الباب مغلق.»

نظرت إلى الساعة لتجدها الحادية عشرة مساءً، فتقرر أن ترتدي

ملابسها وتترك رسالة لصادق على واتساب تخبره فيها أنها ذاهبة لصديقة. لن تذكر سببًا، فصادق لا يهتم بالأسباب.

***

لم تتصل سهير بالشرطة طبعًا، لكنها لم تكُف عن القلق عن مصير نورا. شعور ساحق بالعجز يجثم عليها هي ورجاء، حتى أن الأخيرة قررت ألا تخبز الليلة.

- فليحترق العمل. ما مصير هذه الفتاة؟!

- رجاء، هل حبسها صبحي هذا من قبل؟ هل ضربها؟

- مرارًا، وفي كل مرة يطلق سراحها لأجل المال. ماذا لو اكتشف أمر شعرها؟ ماذا لو جُرِحت كرامته اللعينة وقرر بالفعل ألا تخرج؟

- ومن أين سينفق عليها؟ لو أن أسامة هنا لأطلق على حالة صبحي تصنيفًا نفسيًا ما، ولأكّد لك أنه سيطلق سراحها...

شردت سهير وشعرت بوخزة في قلبها. تتحجج بصنع الشاي بالحليب، وتقوم إلى المطبخ لتبكي وحدها.

أسامة... هل حقًا زهد فيها بهذه السرعة؟

هل كانت حياتها السابقة سرابًا بددته نيران شياطين لاشين؟

تطفئ سهير النار تحت الحليب، وترتدي معطفًا ثقيلًا فوق ملابسها التي لم تغيرها من الصباح، ثم تعلق حقيبتها العملاقة على كتفها

وتقول لرجاء من عند الباب:

- أريد أن آكل شيئا مع الشاي. سأذهب لشراء شيء من البقال.

ولم تنتظر إجابة، فأغلقت الباب خلفها ونزلت الدرجات مسرعًا إلى الشارع البارد.

تسير سهير على غير هدى. أغلب المحال مغلقة، فالساعة جاوزت الحادية عشرة. تحاول أن تُبعد تفكيرها عن أسامة، فتفكر في نورا وما حدث لها، ثم تقرر أن تسير إلى مقهى نيكس، تتبع حدسها كعادتها.

* * * * *

-٢-

تصل سهير إلى نيكس المُغلق. ثمة ضوء خافت بالداخل وضوضاء مريبة. تصعد سهير الدرجات ثم تطرق على الباب وتنتظر. تتوقف الضوضاء ثواني، ثم تعود مرة أخرى إلى انتظامها.

صوت دق، وجر، وقرعات حذائين أنثويين.

تحاول سهير أن تجد لعينيها شقًا تنظران من خلاله، لكن الستائر المُسدلة تحجب كل شيء إلا الضوء الخافت.

صوت حذائين أنثويين بالداخل، ثم بطريقة ما تسمعهما خلفها. تلتفت فتشهق إذ تجد امرأة ترتدي قلنسوة تنظر إليها.

- ماذا تفعلين هنا؟

- ماذا تفعلين أنت هنا؟ من أنت؟

- أنا... كنت أجلس مع صديقة أمام المقهى رأيتك تتلصصين فارتبت.

تنظر سهير إلى المقعد الخشبي على الرصيف لترى شابة ترتدي حجابًا تنظر إليها.

- معذرة. كنت أظن أن صاحبة المقهى بالداخل. لقد كان مغلقًا على غير عادته الأيام السابقة.

- هل تعرفين مدام كوكو؟

- نوعًا. تعرفينها أنتِ؟

- أنا زبونة قديمة لهذا المقهى.

تهز سهير رأسها ثم تنزل الدرجات وخلفها المرأة. تلاحظ سهير بعيني الصقور أن من تتبعها بلا شعر سالفين، وهي تفصيلة قد لا يلحظها الشخص العادي، أو الذي لا يعرف بأمر ما حدث في المقهى. تمد سهير يدها وتقول:

- أنا سهير من سكان المنطقة.

- هند. هذه صديقتي يارا. تقولين أنك تعرفين مدام كوكو، هل معك رقم هاتفها؟ نحن أيضًا قلقتان عليها.

- الحقيقة أختي هي من كانت تتعامل معها في أمور العمل.

- ولم تأخذي منها الرقم لتطمئني عليها؟

نظرة الريبة في عيني هند المرتابة من الأساس وتَّرت مهين فضحكت وهي تقول:

- المشكلة أن هاتفها غير متاح. هذا ما شجّعني على طرق الباب حين أبصرت النور بالمصادفة.. من تظنينه بالداخل؟

- لا أعرف. وماذا جاء بك يا مدام مهير إلى هنا مصادفة في هذا الوقت؟

نظرت مهير إلى يارا وأجابت بابتسامة جانبية:

- نفس ما أتى بكن إلى هنا لتجلسن في البرد والظلام. أعني، ربما الملل، حب الليل، الأرق.. أليس كذلك؟

تسأل يارا:

- متى رأيت كوكو آخر مرة؟

- منذ ثلاثة أيام تقريبًا. وأنتن؟

أمسكت هند كف يارا وقالت:

- لا بد أن نرحل يا مدام مهين تشرفنا بمعرفتك. هلّا تبادلنا أرقام الهواتف حتى نتبادل الأخبار لو عرفنا شيئًا عن كوكو؟

تبادلنا الأرقام، وانصرفت هند إلى سيارتها ومعها يارا. وقفت مهير

تحدق إلى المقهى مرة أخرى ثم دارت إلى جانبه الأيمن حيث عرفت أنها ربما ترى ظلال مَن بالداخل إذ أن مصدر الإضاءة قادم من ناحية اليسار. أمور أخرى لا يفكر فيها سوى المصورين.

بالفعل رأت سهير ظلَّ سيدة يتحرك في نشاط ويختفي عند نقطة معينة، ثم يظهر منها مرة أخرى. استنتجت سهير من الظل ثلاثة أشياء، أن من بالداخل ليست كوكو، وأنها تدخل وتخرج من الحجرة خلف الكاونتر، وأنها لا تريد إجابة الطرقات على الباب، لكنها لا تهتم إن عرف الطارق أنها بالداخل.

التقطت سهير صورة للظلّ بهاتفها المحمول بغرض توضيح تفاصيل الظل أكثر على برامج تعديل الصور، ثم عادت إلى البيت بعدما اشترت قطعتي كرواسون مغلفتين من كُشك صغير ألقتهما رجاء في وجهها لاحقًا باعتبارهما إهانة للمخبوزات.

***

في اليوم التالي، استيقظ سكان المنزل على صوت ميرفت تنعت ماريان بأقذع الألفاظ، بينما أمجد يحاول تهدئة أمه وإخراجها من غرفة نومه.

- أمي.. أنا سأتصرف معها. اهدأي.

- أعرف أنك لن تتصرف. هي سحرت لك، أو تتلاعب بك بما درسته في الجامعة. هذه حرباء متلونة حذرتك منها قبل أن تقع الفأس في الرأس. لا خلاص منها إلا بالموت.

تخرج ميرفت من الحجرة بعدما أبعدت كفّ ابنها عنها في اشمئزاز. كوّر أمجد قبضتيه وهو ينظر إلى أمه التي جلست في الصالة عاقدة ذراعيها، تنظر له متحدية.

لا يرغب أمجد في الشجار مع ماريان، لكنها مُستفزة. منذ مات كلبها اللعين وقد جُنّت. نوبات هلع، نوبات غضب، نوبات لوم له على كل شيء فعله أو سيفعله. لقد تحولت إلى نسخة عن أمّه ووقع هو بينهما بلا خلاص.

لأول مرة يلطم أمجد ماريان، ثم يتصبب عرقًا ويكاد يغشى عليه.

- أنت السبب يا أمجد في كل ما حدث لحبنا. أنت من جعلتني تلك المخلوقة التي تكره. خدعتني وأخبرتني أن والدتك لن تتدخل في حياتنا، فأحضرتها لتعيش معنا. خدعتني وأطلقت كلبي في الشارع ليموت. كنت تغار من كلب، من كائن يحبني ويخلص لي أنا. خدعتني حين وعدتني أنك ستحميني وستدافع عني.

- أنا لم أقتل ذلك الكلب! صدقيني!

يأتي صوت ميرفت من الخارج:

- قلبت عليك الطاولة يا أبله. كلب؟!

تُكمِل ماريان:

- لم تعد تعبأ بي. لم تعد تفعل شيئًا إلا بمشورة خارجية.

- ماريان! تأدّبي!

- والآن تصفعني يا أمجد؟ أصبحت موقنًا إلى درجة الضرب؟ كنت أعرف أن هذا ما ستصل إليه بعد كل ضغطها عليك.

تهتف ميرفت:

- والآن أنا المخطئة. ونعم التربية. اسألها أين كانت قبل أن تتهمنا بقتل جدها.

تصرخ ماريان:

- اصمتي قليلًا!

ثم تغلق الباب حتى يرتج في إطاره، وتلتفت إلى أمجد فتقول:

- أنا سئمت يا أمجد. سأرحل.

- إلى أين؟

- أليس لي أهل؟!

- ماريان.. لا تتسببي في مشاكل أكبر أنت أثرت غضبي.

- وأنت وأمك تقتلانني!

- ما الذي استجدّ؟! هذه حياتنا منذ أربعة أعوام!

- أربعة أعوام كفاية. سأرحل.

كانت تعرف أن الطلاق مستحيل، لكن ما حدث ليلة عيد ميلاد كوكو أشعل جمرة فيها لا تنطفئ. غضب مستعر إذ اكتشفت فجأة

حقيقة حياتها، أو لنقل مماتها.

ألقت في حقيبتها بعض قطعِ الملابس ثم خرجت من الحجرة لتجد حماتها تقف عند باب الشقة تتحدث في الهاتف:

- ابنتك تحتاج إلى شكيمة كالخيل يا أستاذ جريس، أراهنك أنها لا تملك إجابة عن مكان غيابها.

تأخذ ماريان الهاتف من ميرفت وتستغيث:

- أبي.. لا تصدقها...

تصمت ماريان حينًا، تسمع أسئلة أبيها المتلاحقة عن مكان مبيتها وسببه. تتابع نظرة حماتها المنتصرة. هل تحكي لهم أنها ثملت حتى فقدت وعيها؟ هل سيصدقونها؟ هل سيغفرون لها تلك الخطيئة؟

هي تعرف الكثير عن الأكاذيب ونسجها، تعرف تأثير ثبات إلقائها على الآخرين. تعرف حقًا كيف تقلب الطاولة لكنها لا تريد أن تفعل هذا، لا تريد ولم تجرب من قبل.

تقبض على سماعة الهاتف وتنظر إلى وجه حماتها في ثبات وتقول:

- أبي.. كنت في المستشفى أجري إجراءً طبيًا ليساعدني على الإنجاب، ولم تسر الأمور كما هو متوقع وفقدت الوعي. لم أشأ أن أخبر أحدًا بهذا لأنكم جميعًا ستلومونني باعتباري العاقر التي أفسدت حياة أمجد. الآن أعترف لكم، هلا أخذتني عندك؟!

***

اتصلت رجاء بنورا، فاطمأنّت عليها وأخبرتها الأخيرة أنها مسألة أيام حتى يعود كل شيء إلى سابق عهده. كانت تتحدث بثقة رغم تشوّه مخارج الحروف الناتج عن كسر سِنيها الأماميين.

لم تجد رجاء بُدًا من طلب المساعدة من سهير في الخبز ونزلت الأختان في الصباح تفتحان المتجر ثم تجلسان بعد مرور عاصفة الزبائن الصباحية، تتناقشان في غموض ما حدث لنيكس والنساء.

- المهم أنني تأكدت يا رجاء من صدق رواية نورا. رأيت بعيني هند بلا شعر.

- يتبقى أن نعرف ماذا حدث. من فعل بهن هذا ولأي سبب؟ ما معنى نادي الصلعاوات ولماذا اختار الفاعل الأربعة بالذات؟

- ربما هي كوكو.. هي الغريبة بيننا، وهي من أثملتهن ثم اختفت. ترى من بالداخل؟ من شكل الظل استنتج أن هناك امرأة أخرى غيرها.

تحدق رجاء إلى الشارع مُفكرة. ما يهمها في الأمر نورا، ويبدو أنها بخير لكنها لا تستطيع منع قلقها على ما قد يحدث لاحقًا من انضمام النسوة إلى النادي المرعب الغامض. هناك شيء أكبر من قدرتها على التجاهل.

مر يومان آخران، ولم تظهر نورا، لكن سهير تلقت مكالمة من هند تخبرها فيها أن نيكس فتح أبوابه مرة أخرى.

أنا -لاشين- لم ألاحظ بالطبع أن المقهى أغلق أبوابه ثم فتحها مرة

أخرى، فلم أذهب إلا مرات متفرقة ولم ألحظ مديرة المكان إلا لشبهها بالممثلة يسرا.

هرعت سهير ورجاء لتجدا هند هناك، تجلس بالداخل، أمامها كوب قهوة صغير.

أول ما لفت نظر رجاء أن الخلفية الملونة من الخيوط قد اختفت، وحلّ محلها رسمًا يُمثل دوائر سوداء وبيضاء متداخلة تثير الدوار. وأول ما لاحظت سهير السيدة الراقية الجالسة خلف الكاونتر تحيك نقشًا بالخيوط على قطعة قماش مستديرة مشدودة على إطار خشبي.

رفعت هند يدها تلفت نظر سهير، فاتجهتا إليها وجلستا.

- سألت السيدة خلف الكاونتر عن مدام كوكو، فأخبرتني أنها سافرت اليونان، وأنها أختها مدام لامي.

- ما هذه الأسماء الغريبة التي تحب نساء هذه الطبقة تدليل أنفسهن بها؟! أليس لامي هذا اسم كلبة؟

تقول سهير لرجاء متجاهلة ملاحظتها:

- تشبه الظل الذي رأيته أمس عبر الستار.

- هل تظنين يا سهير أن كوكو قد أصابها ما أصاب النساء، فهربت خوفًا؟

ضيقت هند عينيها وأشارت إلى رجاء تسألها:

- لحظة! أي نساء؟ ماذا تعرفان؟

زمّت سهير شفتيها، ونظرت رجاء إلى عصاها حرجًا، ثم تنهّدت وقالت:

- نورا، الفتاة التي تعمل هنا وقابلتها ليلة عيد ميلاد كوكو تعمل لديّ في مخبزي. حكت لنا كل شيء. الحقيقة لم نكن نصدقها تمامًا، فما أخبرتنا به لا يُصدق ولا معنى له. من فعل بكن هذا ولأي غرض؟

أسندت هند ظهرها إلى ظهر المقعد وعقدت حاجبيها وهي تقول:

- إذًا كلنا في مركب واحدة.

- أستاذة هند، ما المشترك بينكن؟

- لا شيء... ربما كراهية الرجال؟ حتى كوكو نفسها لديها خبره سيئة معهم. لكن كل امرأة تقريبا لديها ذكريات سيئة مع رجل.

- هل معكِ الوريقة التي وجدتها بعدما أفقتِ؟

أخرجت هند الوريقة من حقيبتها وفردتها أمامهم. دققت سهير فيها لحظات، ثم استأذنت قبل أن تصورها بالهاتف المحمول. سألتها رجاء:

- فيمَ تفكرين؟

- لست متأكدة، لكني أحتاج أن أرى باقي الوريقات. ماذا نفعل؟

قامت رجاء تدق الأرضية بعصاها متجهة نحو مديرة المقهى

الجديدة وقالت لها:

- مساء الخير. كنت أريد منك وسيلة تواصل مع مدام كوكو، كان بيننا عمل ولها عندي مبلغ من المال ولا أجدها.

رفعت السيدة عينيها الرماديتين نحوها وقالت برقة:

- لا بأس يا سيدتي. اعتبري المال هدية. ولو كنت مُصّرة يمكنك أن تعطيه لي وسأوصله لها.

- أريد محادثتها للضرورة. العمل بيننا مُعلق.

- أنا المسؤولة الآن وأختي الكُبرى. ويمكنك مناقشة أي شيء معي أو معها حين تصل.

عادت رجاء إلى مقعدها ساخطة، فقالت هند سريعًا:

- لقد تأكدت شكوكي في كوكو الشمطاء. لكن إن كان هناك نادٍ للصلعاوات وهي من ضمتنا إليه فلماذا اختفت؟! ما هو هذا النادي أصلًا وما علاقته بشعرنا!

***

عادت ماريان لبيت والدها الذي عاملها بحرص، هو يعرف أنها غير مستقرة نفسيًا منذ زواجها، وزاد من عدم استقرارها وفاة كلبها الذي طالما اعتبرته ابنها.

هي عاقر وفشلت كل محاولاتها للإنجاب. أمجد ضعيف الشخصية

لكنه يحبها حقًا. المشكلة الحقيقية هي ميرفت لا أكثر.

عادت ماريان من عملها لتجد البيت خاليًا. والدها ووالدتها يقضيان أغلب الصباح والظهيرة في النادي، وهو النشاط الذي يفضلانه بعد خروجهما على المعاش وزواج الأبناء.

تمددت ماريان على الكرسي الوثير لحظات تمسك رأسها وتحدق إلى الكرات المُلوّنة المُعلقة في شجرة الميلاد. حالتها سيئة بالفعل، فهي لم تنم ولا تذكر كيف مرّ يومها في المدرسة. الذكريات تختلط ببعضها فلا تعرف الفارق بين اليوم وأمس.

أمجد لم يتصل بها منذ رحلت، واتصلت بها والدته اليوم تخبرها أنه أغلق هاتفه ولم يعُد إلى البيت حتى للاحتفال برأس السنة. اتهمتها أنها السبب وهي وحدها المسؤولة عن أي شيء يحدث لأمجد بسبب مشاكلها.

تذكر انك حملت رواية لاشين الكتاب التاسع نادي الصلعاوات حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

قامت إلى غرفتها فألقت حقيبتها على الفراش، ثم دخلت الحمام الصغير المرفق بالحجرة لتغتسل. أزاحت ستار المغطس وخطت إلى الداخل. سحبت قدمها بسرعة إذ شعرت بملمس غريب. نظرت

إلى أسفل لترى أمجد مُمَدّدًا في المغطس حليق الشعر وفوق صدره وريقة مكتوب عليها (اغتنمت الفرصة!)

كتمت صرختها وركعت تهزه وتناديه. هو ميت ولا شيء يمكنها فعله تجاه ذلك.

هرعت إلى الهاتف تطلب رقم الشرطة، ثم تراجعت في آخر لحظة. من قتل أمجد وأدخله حمامها؟ باب البيت مغلق بالمفتاح. كل شيء مكانه.

الرأس الحليق والوريقة أجبراها أن تتصل بهند أولًا وتهتف بها بمجرد أن سمعت صوتها:

- هند! أمجد قُتِل! انجديني!

* * * * *

-٢-

تجلس يارا في نيكس، أمامها معتز الذي يجرع من زجاجة بيرة وينظر إليها رافعًا حاجبًا مستنكرًا.

- إذًا قررت ارتداء الحجاب! لقد كنت واعِدة يا يارا. كتاباتك بديعة، ورقصك مُلهم، ومستقبلك كمحامية واعد. ما الذي استجد حتى تضربي بكل معتقداتك عرض الحائط وتغطي شعرك بهذه القماشة؟ هل ترينه عورة الآن؟ وهذا الجسد الجميل الذي أمتعنا جميعًا برقصه الرشيق؟ لو كان كشفه حرامًا لما وهبه الله للنساء!

- معتز.. هذا اختياري. ألم يكن كلامك كله لنا في تجمعاتنا عن حرية الاختيار؟

- ليس اختيارك. هذا إجبار المجتمع لك لقمعك. عمومًا، أفهم من هذا الـ... الاختيار أنك لن تحضري تجمعاتنا مرة أخرى؟ لن تسافري إلى دهب معنا آخر يناير؟ ألهذا السبب لم تحضري حفل رأس السنة؟ ترينه بدعة؟

- لن أذهب إلى أي مكان. اعتبر أن صفحتنا أُغلِقت.

- وحبك لي؟ انتهى هو الآخر؟

- معتز أنا أحبك ولا أعرف حتى إن كنت تحبني. لم تتفوه بها قط، ولم تعدني أن تكون لي. أنت حتى لم تطلب مني أن أكن لك وحدك!

- لست أنانيا يا يارا. أنا لا أمتلكك ولا أمتلك غيرك. أنت نوّارة تجمعاتنا.

تتذكر يارا أول مرة ترى فيها منشورًا لمعتز على فيسبوك، يتحدث عن مكان تجمّع يُطلق عليه «الملاذ»، وهو شقة كبيرة قرب ميدان التحرير توفر مساحة للاستذكار أو العمل أو نقاش الأعمال الأدبية والأمسيات الثقافية

قرأت لمعتز منشورات عن المغتربين الذين وجدوا أنفسهم في الملاذ ووجدوا من ينقذهم من آلامهم ووحدتهم. ترددت على المكان مرات وتجرأت في مرة فقرأت على الجمع فصلًا من رواية. بعد شهرين زالت الحواجز بينها وبين الآخرين، ووجدت فيهم يارا ما

افتقدته من هوية حتى وإن كانت لا تناسبها ولا تنبع من بيئتها المحافظة. وجدت أحضانًا مجانية يدعو لها معتز، إذ يتعانق الجميع -رجالًا ونساءً- بعد كل جلسة، ويقولون أنها عناقات بريئة تقرِّب البشر من بعضهم البعض. ولكم كانت تفتقد العناق في عائلة اعتبرت التعبير عن المحبة عيبًا.

وقعت في حبائل معتز فتظاهرت أنها مثله ومثل النماذج التي يمتدح شجاعتها. غنّت مع أهل الملاذ، رقصت معهم، ثم لهم. صارت مقربة من معتز سرًا وهو لم يطالبها بشيء قط إلا ما أرادت هي فعله. عرض عليها دنياه هو، تنتقي منها ما تشاء، ثم أقنعها أنها حرة تمامًا.

قام معتز مبتسمًا وقال لها وهو يحمل حقيبته على كتفه:

- الملاذ مفتوح لك في أي وقت، ومستعد ليحررك مرة واثنتين وعشرًا.

رحل معتز، فانهارت يارا باكية. تنظر لها السيدة لامي من فوق عويناتها، ثم تُكمل التطريز وتُغمغم:

- كلهم على شاكلته يا ابنتي. أمثاله لن يحرروك إلا ليستعبدوك.

***

أوقفت هند سيارتها أسفل البناية التي تقيم فيها ماريان مع أهلها. غابت ماريان ساعتين ثم اتصلت بهند تخبرها أن الجثة -ببساطة-

اختفت.

تنظر هند إلى مرآة سيارتها لترى خلفها سيارة فضية ربما تكون سيارة زوجها أو لا. الغريب أنها كلما ذهبت إلى مكان وجدت خلفها، وعلى مسافة آمنة، سيارة فضية من نفس نوعية سيارة زوجها، وهي نوعية شائعة للغاية بالمناسبة.

ترتدي قفازًا مطاطيًا مما تستخدمه في تجربة المنتجات على بشرة زبائنها، لا يجب أن تترك لها أثرًا في مسرح جريمة محتمل، ثم تصعد الدرجات إلى الطابق الأول العلوي فتفتح لها ماريان قبل أن تضغط زر الجرس.

- هنا! لقد اختفى! صدقيني لقد كان ممدًا هنا وفوقه هذه الوريقة.

تجذب هند نحو المغطس الخالي، فتركع الأخيرة جواره وتمد يدها نحوه.

- هل كان زوجك مشعر الجسد؟

- نوعًا.. لماذا؟

- أريني ملابسك التي كنت ترتدينها اليوم.

تفحصت هند الملابس جيدًا، ثم جلست على طرف الفراش وقالت:

- ثمة شعيرات سوداء على ملابسك. وارد أن تكون قد انتقلت إليها قبل تركك بيت الزوجية. لكن انظري..

ومدت يدها تري ماريان شعرة من ملابسها وأخرى من حوض

الاستحمام، ثم أردفت:

- من الطول والسمك، الشعرات من رأس زوجك. لست طبيبة شرعية بالطبع، لكن أي شخص يمكن أن يميز الفارق بين شعر الرأس والجسد. هناك احتمال لا بأس به ألا تكوني مُتوهِّمة، وأنك من نقلت جثة زوجك إلى هناك. لن أذكر بالطبع احتمالية أن تكوني من قتلته.

- ولماذا أقتله

- لا أعرف. هل لديكِ أسباب؟ تذكري يا ماريان أنني لن أبلغ عنك ولست ضدك بأي شكل. أنت وثقتِ فيّ، وأنا لن أخذلك.

- لا يوجد سبب يدفعني لقتل نملة! أمجد حب عمري!

- مارسي حياتك بشكل طبيعي يا ماريان حتى نعرف أكثر. لن يمكنك الخلاص من جثة بهذه السهولة! ربما كنت تتوهمين رغم كل شيء، والشعيرات في المغطس جاءت من جسدك أنت أو من ملابسك.

هند مُحقة، لا يوجد ما يُفعل سوى الانتظار. أخرجت ماريان أقراصها المهدئة من حقيبتها وتناولت قرصين. لم يفت هند أن تلاحظ اسم الدواء لتبحث عن استخدامه لاحقًا، ولم يفتها –وهي المرتابة دومًا- أن تلاحظ اختلاف الخط المكتوب به الوريقة عن الخط الذي كُتبت به وريقتها.

بعد يومين من اختفاء/مقتل أمجد استيقظت نورا تحك فروة رأسها التي التهبت من لاصق الشعر المستعار. تعجبت كيف لم يوقظها صبحي لتُحضِّر له الإفطار.

قامت تناديه لكنها لم تجد له أثرًا. بدأت طقوس التنظيف المعتادة وهي تفكر إن كانت هذه هي الفرصة التي تنتظرها لتهرب. فجأة، تركت المكنسة وهرعت تجمع ملابسها في كيس بلاستيكي، وتفتح باب الشقة لتجده مواربًا. هل خرج صبحي وترك باب بيتهما مفتوحًا؟

بعد وفاة والديهما، تزوج صبحي في الشقة، وكانت زوجته -رحمها الله- ابنة تاجر ملابس مستعملة في وكالة البلح. قبيحة هي فاتها قطار الزواج، لكنها كانت أصيلة طيبة، تحملت ما لم يتحمله بشر كي تعيش في كنف رجل. هكذا تربّت الفقيدة، ولهذا السبب ماتت.

تساءلت نورا عن سبب تحملها لضرب صبحي واستنزافه أموالها ومصاغها. تتساءل حتى هذه اللحظة لماذا كانت آخر كلماتها «صبحي لا ذنب له»، ثم ماتت من نزيف داخلي بعدما رماها صبحي من النافذة المُشرفة على المسقط. لقد رأت الجريمة وعجزت عن منعها.

نظرت الفقيدة إلى نورا وهي على فراش الموت مؤكدة عبارتها السابقة «كنت أنظف النافذة يا نورا. أعرف أن الناس قد تتهم

صبحي، لكنه لم يفعل شيئًا».

نورا تعرف أنه هو من دفعها إلى خارج النافذة بعدما هددته أثناء شجار لهما أنها ستنتحر لترتاح منه. رأته يرفع قدميها عن الأرض، فاختل توازنها وهوت.

خرجت نورا من باب الشقة فلاحظت أن البساط الصغير أمام شقتهما مُزاح إلى قرب مدخل المسقط. القطط؟ لا توجد قطط. صبحي يضع لها السم كي لا تبول على الباب في مواسم التزاوج. سارت خطوات ودقات قلبها تعلو. باب المسقط موارب، وما ترى من فرجته لا يُطمئِن.

صبحي مَمد على الأرض، حليق الرأس، على صدره وريقة شعرت نورا بمحتواها قبل أن تقرأها.

***

تناول مهير كوب القهوة إلى هند ومعه قطعة «باتيه» من صنع رجاء وهي تقول:

- جريمتان لا شهود عليهما ولا جثث. هذه هلوسة ولا ريب. سمعت مرة عن جرائم مُرتَّبة في الإسكندرية اختفت فيها جثث الضحايا بعد أن رآها شهود، لكن في حالتكم...

تقول ماريان وهي ترتجف بردًا وقلقًا:

- ليست هلوسة. أمجد مُختف، وأمه أبلغت الشرطة واتهمتني.

تزعم أنه نزل يبحث عن ذلك الطبيب الذي زعمت أنني أمضيت الليلة تحت إشرافه في المستشفى، ولم يعد. تتهمني أنني قتلته كي لا يكتشف ما أخبئه عنه. كيف لي أن أعرف أنه خرج من الأساس بحثًا عن الطبيب؟!

تسألها مهين:

- وماذا أخبرتِ الشرطة؟

- اعترفت أنني كذبت بشأن الطبيب بسبب خوفي من حماتي، وأنني شربت الخمر في تلك الليلة التي تغيبت فيها وبث في سيارتي، لم أكن قادرة على القيادة في حالتي. نشكر الله، فقد أكد تفريغ كاميرا المراقبة في الشارع أنني كنت نائمة في السيارة حتى الصباح، وحين سُئلت عن صلعتي البادية في التصوير قلت لهم أنني صلعاء وأرتدي الشعر المستعار ويبدو أنه قد سقط عن رأسي في مكان ما بعدما ثملت.

هتفت هند:

- لا جثة، لا قضية. لا تقلقي يا ماريان، على الأقل حتى يجد أحد الجثة.

تقلب نورا السكر في شايها وتغمغم:

- في «ستين داهية» إن كان يشبه صبحي. لم أكلف نفسي عناء الصراخ. أخذت الوريقة من فوق صدره وغادرت. ليجده من يجده،

أو ليتعفن في مكانه. لن أعود.

تضرب رجاء الأرض بعصاها مُفكرة ثم تقول:

- المشكلة ليست في القتلى. أعني، هي مشكلة بالطبع، لكننا نسينا البداية. هناك نسق ما في تلك الجرائم يرتبط ارتباطًا وثيقًا بما حدث معكُن في نيكس.

تهز يارا ساقها وترفض الكرواسون الذي مدت به سهير يدها. تهتف:

- هل يعني هذا أن.. أن معتز في خطر؟ هل سأقتله؟ هل ستقتلين زوجك يا هند ؟

تنظر سهير خارج متجر أختها المغلق. الليل قد حل، والشارع صار هادئًا أكثر من اللازم. اختارت رجاء مقابلة الجميع في المتجر رغبة منها في الحفاظ على خصوصية بيتها، وقلقًا منها من استضافة قاتلات مُحتملات.

لكن نورا واحدة منهن، وهي تعرف بيتها، ولأول مرة ترى وجهًا آخر لها. نورا تكره صبحي، لكنها لم تتحدث عنه قط بهذه الشماتة. صبحي مات يا نورا وعيناك تنبضان بالسعادة... غريب الإنسان...

تلاحظ سهير امرأة مُسنة تقف عند الناصية جوار غرفة توزيع الكهرباء. تحدق نحو المتجر ثم تتشاغل في هاتفها المحمول. تلتقط لها سهير صورة بهاتفها، ثم تجلس خلف سخّان العرض تراجع آخر صور ظل السيدة لامي خلف الستار. صور الوريقات التي وجدتها

هند ونورا وماريان، ثم صورة المرأة التي تراقبهن.

تقول سهير شاردة:

- النمط الذي تتحدث عنه رجاء يختلف عن نمط القتلة المتسلسلين في أمور ويتشابه معه في أمور أخرى. طريقة القتل وحلاقة شعر الرأس في القتيلين متماثلة، ولها رمزية ما لا أفهمها، لكن ما علاقة الجرائم بما حدث معكن في نيكس؟ هل كوكو متورطة أم هي السبب... القاتلة؟

تقول هند وهي تحدق إلى الوريقات أمامها:

- لا أظنها القاتلة. كيف تدخل بيت ماريان؟ باب شقة صبحي مفتوح بالمفتاح، ويبدو أنه قُتِل بالداخل ثم جُر إلى المسقط. تقولين أن البساط تحرك من مكانه يا نورا.

تسأل يارا:

- لماذا نقله القاتل إلى المسقط؟ سواء كان من قتله نورا أو غيرها؟

تجيب نورا:

- لا أعرف كل أعداء صبحي، ولا أعرف إن كان قد أعطى مفتاح شقتنا لأحد.

تنظر رجاء نحو نورا، فتتحاشى الأخيرة التقاء الأعين. رجاء تعرف بأمر زوجة صبحي، ومكان جثة الأخير يشبه لافتة مُضيئة تدل على الصلة بين مكاني القتل. لكن كيف قتلته نورا وقصت شعره بنفس

طريقة قص شعر أمجد الذي لم تعرف شيئا عنه إلا منذ ساعات؟

تحدق سهير إلى صور الوريقات على هاتفها. الخط الذي كتب وريقتي نورا واحد، والذي كتب وريقتي ماريان واحد. كل واحدة كتبت لنفسها هذه العبارات، لكن كيف اتفقن على نفس الكلمات؟

الحل كما قالت رجاء في ليلة عيد ميلاد كوكو. ماذا حدث في الفجوة الزمنية التي تلت شربهن الخمر؟ سألت سهير سؤالا أخيرا:

- هل عانيتن فترات فقدتن فيها إدراككن لمرور الوقت؟ أعني فترات لم يسبقها أو يليها حدث؟

هزت النساء رؤوسهن متسعات الأعين. ماذا يعني ذلك؟ لماذا سألت سهير هذا السؤال؟ لا يعرف أحد السبب حتى سهير. لقد خطر السؤال ببالها فقط.

لم تجد النسوة بُدًا من الافتراق، على أن تظل نورا مع رجاء.

خرجت كل واحدة إلى حال سبيلها، ولاحظت سهير المرأة بالخارج تركب سيارة وتتبع سيارة ماريان. اتصلت بها على الفور وأرسلت لها صورة المرأة، فقالت ماريان في غِل:

- ميرفت.. اللعينة تراقبني!

***

تنتظر هند أن ينام زوجها، ثم تتسلل إلى مكتبه على ضوء كشاف الهاتف المحمول. الرجل يراقبها لسبب لا تعرفه، لذا فمن حقها

مراقبته.

أثناء وجودها في متجرها، رأته من خلال كاميرا المراقبة المُخبأة وسط الكتب يدخل المكتب ويخلع البيريه والسترة، ثم يفتح دُرج مكتبه السفلي بمفتاح -وقد كانت تعرف أنه يضع مالًا للطوارئ في هذا المكان- ثم يُخرج منه كتابًا ضخمًا يقرأ فيه لساعات، ثم يعيده مكانه ويغلق الدرج بالمفتاح مرة أخرى.

لصادق البدوي ثلاثة محال متفرقة في المنيل ورثهم عن أبيه، واحد منهم كان يعمل في بيع الخيوط ثم نشاطات أخرى، حتى أجّره لمدام كوكو فتحوّل إلى مقهى نيكس.

نمت بينهما صلة ما لم تعبأ لها هند، فكانا يتبادلان الحديث السري في حجرة المقهى الخلفية. رأت صادق يفعلها عدة مرات، ويتجاهل حتى إلقاء التحية عليها. ثم اختفت كوكو وحلّت محلها أختها لاسي...

كنت أظن –أنا لاشين- أنّ رجاء امرأة مرتابة، لكن ما تفعله هند يُشعرني أنها تحيا مع حية ذات جرس، لا مدرس حقوق إنسان. طبعًا لم أعرف ما كان يحدث مع أي شخص آخر في وقت حدوثه، فلا تنسوا أنني فقدت قدرتي على متابعة الآخرين وماضيهم، ولم يتبق لي إلا صلتي بسهير.

خلعت هند درج المكتب الذي يعلو ذاك الذي له مفتاح، فلم تجد منفذًا إلى حيث الكتاب زفرت وقررت أن تفكر في طريقة

لاقتحامه، ربما بسرقة المفتاح من زوجها، لكن إن كان الأخير يراقبها فلا بد أنه يحمي شيئًا يخشى أن تكشفه، أو...

أو أنها قد تعثّرت في أمر من تدبيره، وهو يراقبها الآن مراقبة الصيّاد لفريسته.

***

تجنّبت يارا الجميع في الجامعة، وأمضت أيامها منزوية، لا تتواصل مع أحد ولا ترد على اتصالات رفاق الملاذ. هذه هي طبيعتها الأصلية التي غطتها بالصورة المقبولة عند معتز.

تُرى هل سيُقتَل؟

وسط آلاف الطلبة، لم تكن يارا مرئية، ولم تتصور أن تجد أستاذها صادق البدوي يسأل عنها تحديدًا، ويطلب مقابلتها.

ذهبت إليه في حجرة الأساتذة المشتركة، فسألها عن أحوالها وأخبرها أنه قد لاحظ تغير سلوكها.

- مُبارك ارتداؤك الحجاب. لكن يبدو لي أنك لست راضية؟ عادة ما يصحب حجاب الفتيات موجة من الاحتفاء وسط قريناتها، لكني لا أراك تحدثين أي زميل أو زميلة، حتى أنك لم تحضري محاضرة الصباح التي تواظبين عليها.

- لا شيء يا دكتور. أنا بخير. مشاكل عائلية لا أكثر.

- هم من أجبروك على الحجاب؟

دون أن تدري، ارتفع صوتها وهي تجيبه:

- ما شأن الجميع وحجابي؟! لم يجبرني أحد وأنا هو أنا لم أتغير!

تراجع صادق في مقعده، ونظر إلى كفيه المتشابكين فغطى البيريه ملامح وجهه. اعتذرت يارا وخرجت من المكتب تبكي وتتخبط في الحوائط والطلبة حتى ألقت بنفسها في أقرب ميكروباص إلى ميدان التحرير.

الساعة الحادية عشرة والنصف.

تصعد إلى الطابق الأخير في البناية القديمة، لتجد الملاذ ممتلئ عن آخره بالتجمعات الصغيرة، والمستذكرين. تسأل الفتاة في الاستقبال عن معتز فتخبرها أنه في مُعتزله، الحجرة التي يمارس فيها يوجا الصباح، وتُعتبر مكتبه في الأوقات التي لا يجلس وسط أهل الملاذ ولا يشاكسهم.

طرقت يارا باب الحجرة عند نهاية الرواق الخالي المُضاء بوحدات إضاءة من الخوص. فتحت الباب وهي تنادي معتز.

المكتب مظلم. تضيء النور فلا تجد له أثرًا. تحمد الله أنها لم تجد جثته. لا بد أنه خرج دون أن تلاحظ فتاة الاستقبال. تتصل به فتسمع صوت هاتفه من حقيبتها. تلتقط الهاتف في جزع لتلمح إشعارًا برسالة منها على واتساب.

تفتح الرسالة من هاتفها لتقرأ:

«معتز.. أعتقد أنني كنت مخطئة بشأن كل شيء. أريد التحدث إليك قبل أن أذهب إلى الكلية.»

«مرحبًا نوّارتي. سأتصل بك.»

تفحصت سجل مكالماتها فوجدت مكالمتين، واحدة مدتها عشر دقائق، والأخرى لم ترد عليها. ثم تلاحظ أنها أرسلت له رسالة لم يقرأها هو، وتوقيتها بعد آخر مكالمة، كتبت فيها:

«سأفتح لك».

دسّت يارا هاتفه المحمول في حقيبتها، وهرعت إلى فتاة الاستقبال تسألها متى آخر مرة رأت فيها معتز فتخبرها أنها لم تره، لكن عامل البوفيه قال أنه رآه في التاسعة والنصف يدخل مكتبه. إن كان هاتفه معها، فلا بد أنها أخذته منه بعدما...

* * * * *

-٥-

في نفس الوقت الذي وجدت فيه يارا جثة معتز حليقة الشعر في شرفة حجرتها، كانت رجاء تجلس في نيكس مع مهين يراقبان لامي، ويفحصان الصورة التي التقطتها لها مهير بكاميرتها عالية الدقة.

- انظري يا رجاء.. ماذا تُطرّز؟ لا أرى رسمًا أو نقشًا واضحًا على القماش. فقط غُقدا!

- أنت كنت كالصبي طيلة عمرك يا سهير ولا تعرفين خيط التطريز من المكرونة الإسباجيتي. كبري الصورة أكثر. هل ترين نوعية الخيط الذي تحيك به؟

تخلع سهير عوينات نظرها وتدقق أكثر في الصورة. هذا ليس خيطًا بالتأكيد، لكن ما هو؟

خلال الساعتين اللتين مكثتا فيهما في المقهى، دخلت لامي الحجرة الخلفية أكثر من مرة ولم تخرج بشيء، ثم قبل دقائق، جاءت امرأة أخرى أكبر منها سنًا، تولّت هي المقهى بينما اختفت لامي بالداخل.

- هذه المرأة يا سهير تشبه لامي لكنها أطول وأكبر عمرًا.

- يبدو أنها الأخت الثالثة.

قامت رجاء إليها تسألها عن قطعة حلوى من المعروضة، ثم تقول:

- أدمنت حلواكم! سيقتلني طبيب السكري!

- أتمنى لك كل الصحة يا سيدتي. لا يموت أحد قبل أوانه.

طلبت رجاء الفاتورة، وحاولت اختلاس نظرة إلى ما وراء الكاونتر، حيث كانت تجلس لامي، رأت رجاء شعرات سوداء متناثرة كأنها كانت تجلس على كرسي حلاقة. دفعت رجاء المال بيد مرتجفة، ثم عادت إلى سهير تقبض على ذراعها وتهمس لها وهي تكاد تفقد الوعي:

- لامي كانت تُطرز بالشعر البشري!

***

رغم ذعرها، كانت يارا أكثر حرصًا على تصوير جثة معتز قبل أن تتصل بهند ثم تفقد الوعي.

كما هو المُتوقَّع، اختفت جثة معتز ولم يتبق منها سوى الصورة التي فحصتها هند جيدًا، قبل أن تطلب مقابلة سهير ورجاء في كافيتريا في شارع شارل ديجول.

- ماذا تعنين يا مدام رجاء أن لامي تغزل بالشعر؟!

- هذا ما رأيته، وما صورته سهير لكننا لم نفهم معناه. السر في الحجرة الخلفية هذه.

- لنفترض أنها تفعل هذا، وأنها تغزل بالشعر الذي أخذته منّا... ما معنى نادي الصلعاوات؟ وكيف نقتل ونتخلص من الجثث بهذه الطريقة النظيفة التي لا يقدر عليها أعتى القتلة؟! لم يجد أحد أمجد ولا صبحي، ولا أظنهم سيجدون معتز.

قالت سهير في قلق:

- هل يعرف أحد صلتنا ببعضنا؟ على الأقل صلتكن ببعضكن؟ من قد يربط بينكن؟

- ميرفت بالطبع. تقولين أنها تراقب ماريان، وغالبًا أثارت جلسنا في المتجر المغلق ريبتها أكثر اللعنة.. هذا خطر...

تسأل رجاء:

- أين ماريان؟

- مكتئبة أو مختفية، لا أعرف. عرفتُ أنها تتعاطى عقارًا مهدئًا لا يُصرف إلا بوصفة طبيب، نستنتج من هذا أنها تزور أو قد زارت طبيبًا نفسيًا من قبل. المهم، لا يجب أن يرانا أحد سويًا مرة أخرى. المكالمات الهاتفية خطرة.. لا أعرف إن كان واتساب آمنًا.. لنتبادل البريد الإليكتروني..

كتبت هند بريدها الإليكتروني على وريقة ثم رحلت.

يارا في مسكنها وقد أغلقت هاتف معتز وأزالت عنه الشريحة ثم خبأته في حشية فراشها.

نورا مع رجاء، تسكن في بيتها وتنزل إلى المتجر في غيابها. لم يجد أحد صبحي، لكن مهير نصحت نورا أن تبلغ عن غيابه كي لا يرتاب فيها أحد بعد الشجار الأخير.

لم يبق سوى زوج هند، الذي لا تعرف أي من النساء شيئًا عنه، لا اسمه ولا وظيفته ولا علاقته بالأخوات الثلاث. هذه تفاصيل رغبت هند في أن تحتفظ بها لنفسها وسط كل الأحداث العشوائية المرعبة التي تدور، ولأنها بطبيعتها مرتابة!

* * * * *

-٦-

تستمع سهير إلى الأغاني اللبنانية التي لا تُذكرها بأسامة، لكنها تذكرها بأنها تحاول ألا تتذكره!

«شي جديد؟ ما في جديد! حبك لإلي لا بيقل، ولا بيزيد.. وبعيد...»

تقول رانيا عبر الهاتف:

- أبي لا يأكل ولا يخرج ولا يبتسم يا أمي. يقول طبيبه أن الاكتئاب وارد بعد الأزمات القلبية، لكننا نعرف أن الأخيرة بريئة مما هو فيه.

- ماذا تقترحين يا رانيا؟ أن أعود أنا وأعتذر على ذنب لم أقترفه؟ لقد قرر هو أن نفترق قليلًا، حسنًا... حين يشعر أنه قد ملّ الإجازة بيننا سيخبرني.

- ولو فعل، هل ستعودين؟

- سأعود يا رانيا. سأعود رغم ظنه أنني الآن برفقة لاهين، وأن انفصالنا مسألة وقت. سأعود رغم هذه الإهانة التي أعجز عن ابتلاعها.

- لماذا ستعودين إذًا؟

زفرت سهير ولم تُجب، فقلت رانيا:

- أنت حانقة كما لم أرَكِ من قبل. لقد تشاجرتِ ووالدي مرارًا بسبب موضوع الماورائيات هذا، ولم تحنقي إلى هذه الدرجة ولم تبتعدي

ولم يبتعد. تلك أيام لم يكن فيها طرف ثالث في علاقتكما.

- رانيا، لو ورثت شيئًا من أبيك سوى الطول، فقد ورثت كلامه المسموم. أنت وهو الحانقين لا أنا. لا دخل لأي طرف آخر بما نحن فيه، لكن لكل شيء عمر افتراضي.

أغلقت سهير الخط لتجيب عن رسالة مهاب بشأن ردود الأفعال على الموسم الرابع من بعد منتصف الليل، ويُطمئنها إلى أن حسن بخير. استمعت إليه شاردة، غاضبة، لكنها أجادت إخفاء مشاعرها عنه.

سهير تتغير تكشف عن حقيقتها الساطعة، فيغطي هذا السطوع على تلقائيتها التي كانت تميل إلى البلاهة في الماضي. سهير تنضج.

لم تنس سهير قَط مسألة نادي الصلعاوات هذا، وإن زاد الخطر بعد مقتل معتز وصار حديث مواقع التواصل الاجتماعي. حكت سهير لمهاب -لماذا لم تحكي لي؟!- فقال الأخير:

- لا بد أن القاتل قد خاف بسبب الزوبعة التي تسبب فيها اختفاء معتز المعروف على فيسبوك.

- تظن القاتل واحدًا؟

- لا شك. القاتل واحد ويحاول إلصاق الجرائم بهؤلاء النساء. السر عند الأخوات الثلاث.

يسترجع مهاب ذاكرة مهر التي جاهدت طبيبته في محوها من عقله، ويرى بعيني الكيان العتيق الممارسات السحرية التي كانت تمارس باستخدام الخيوط والحبال، وعقدها وإلقاء العزائم والتعاويذ عليها. هؤلاء النسوة يغزلن بشعر النساء، ولا يفعل هذا الفعل المجنون سوى السحرة. قالت سهير:

- السحرة أو القتلة المتسلسلين يا مهاب. لا تنس القاتل إد جين، غول بلينفيلد الأمريكي، الذي صنع بذلة وسلة مهملات وجوارب وأقنعة من جلود النساء التي قتلهن. إد جين مختل عقليًا، ولا مانع من أن تكون الأخوات مثله.

- يجوز.. المهم يا أستاذة، لا تتورطي في هذا الأمر. أبلغي الشرطة وسيتولون التحقيق والكشف عن المجرمين. لن يساعد الصمت هؤلاء النسوة كثيرًا، إلا إذا...

- إلا إذا كنّ جزءًا من منظمة القتلة المتسلسلين تلك. لماذا تصدقين رواياتهن عن ليلة عيد ميلاد صاحبة المقهى؟

- ولماذا يكذبن عليّ أنا بالذات؟

- نورا قد تكذب على رجاء علمًا منها أنها ستصدقها وتحميها. ذهابك إلى المقهى ليلًا في حضور هند ويارا أرغمهن على ضمك إلى صفهن وتشتيتك بمعلومات محيرة.

تعرف سهير أن هذا الذكاء والتحليل المنطقي من تأثير ذاكرة مهر على مهاب، وعلى قدر ما كان هذا التأثير مفيدًا، على قدر ما زاد

خوف مهير من مهاب الجديد الذي يختلف كثيرًا عن ذاك التلقائي الذي لن يفكر لحظة في أن يموت في سبيل الآخرين.

كل شيء يتغير كل شيء..

***

مع مرور أول أسبوع من العام الجديد، وتجميد مشكلة جبر مؤقتًا، قررت مهير أن تنتحر. لن تقتل نفسها، لكنها ستتحرر من كل قيد وتترك سطوعها يطغى على مخاوفها وضعفها.

طلبت لقائي وجهًا لوجه، وهو أمر كان ليسعدني لولا أنني أعرف الضغط النفسي عليها.

جاءت مهير تقابلني في نيكس دون أختها، وكنت أنا أكتب نهاية الكتاب الثامن اللعين. متورمة العينين من البكاء قالت:

- لن أعود إلى برنامج بعد منتصف الليل مرة أخرى. كفانا توريطًا للناس فيما يحدث. تعبت من اضطراري للقيام بدور المحققة الماورائية وأنا لا أفهم شيئًا في كل هذه التعقيدات. كان لديك حق. لقد انطلقت الرصاصة ولن يفيد التحذير.

- افتقدت أسامة؟

- أعتقد أن علاقتي به لن تعود إلى سابق عهدها أبدًا. العالم كله لن يعود لسابق عهده. أنا مضطرة يا لاشين للاستمرار في مرافقتك... مجبرة كي أنقذ عُمَر مما هو فيه. أنا السبب فيما يحدث، ولا مجال

أمامي للتراجع. لكني أريد تخفيف الحمل عن كتفيّ. أنا مُنهكة ...

تبكي. لأول مرة تبكي سهير أمامي وحدنا. يخفت صوت شياطيني تمامًا وأنا أحدق إليها. يداي باردتان، ترتجفان. أناولها منديلًا فتأخذه وترحل. أعرف أنها ستكمل بكاءها في سيارتها.

أمسك هاتفي المحمول وأبحث عن الرقم الذي لم أتصل به إلا مرة واحدة منذ عامين...

- دكتور أسامة؟ قبل أن تقول شيئًا... سهير تحتاجك. لا تكن نذلًا وتتخلى عنها وإلا توليت أنا أمرها. مفهوم؟

أغلقت الهاتف، وتشاغلت في كتابة نهاية الرواية، بينما انطلقت سهير إلى بيت أختها، وانطلقت خلفها سيارة ملاكي سوداء لم أر مَن خلف مقودها.

***

في الوقت الذي انشغلت سهير فيه في مشاكلها والتفكير في إلغاء البرنامج، تيقنت هند أن زوجها يراقبها.

بحثت على الإنترنت عن طريقة فتح الأدراج المغلقة بمفتاح، فهي في النهاية أدراج مكاتب عادية لا خزائن مُصفّحة.

لن أذكر الطريقة هنا -أنا لاهين- ويمكنكم البحث عنها كما تشاءون، لكني لن أتحمل ذنب معرفة كهذه. في غياب صادق، فتحت هند الدُرج لتجد الكتاب القديم الذي يتحدث عن الجماعات

الوثنية في أوروبا وعلاقة معتقداتهم بالآلهة القديمة، خاصة تلك التي لم تُبجّل بالشكل الكافي في عصور عبادتها.

عقدت حاجبيها وهي تبحث عن أي شيء آخر في الدرج، لكنها لم تجد شيئًا ذا بال. قبل أن تخرج من الحجرة وردها بريد إليكتروني من ماريان، فتحته لترى صورة محقن مرفق معه رسالة: "وجدت أمي هذا في سلة مهملات حمامي الخاص، واتهمتني أنني أتعاطى شيئًا. لا أتذكر أي شيء عن استخدام حقن. ترى هل استخدمته على.. شخص ما؟"

فهمت هند أن ماريان تشك في أنها حقنت أمجد بشيء ما أدى إلى وفاته. هذه تفصيلة لا لزوم لها وسط المشاكل التي تحيط بها، وصمت حماتها المفاجئ.

قررت هند أن تراقب زوجها أكثر فاستأجرت سيارة وتبعته يومين لم يتغير فيهما خط سيره عن المسارات المألوفة من وإلى الجامعة، وفي مرة وجدته يراقب مقهى نيكس لنصف ساعة قبل أن يعود إلى بيته.

***

استدعت الشرطة يارا بعدما تلقّت بلاغًا من السيدة ميرفت يفيد أنها رأت معتز العمري -الذي صار أكثر شهرة الآن على الإنترنت- يصعد إلى منزل يارا يوم اختفى، وقد زعمت ميرفت أن ماريان تربطها صلة ما بيارا ونساء أخريات، اجتمعن مرة في متجر

مخبوزات مغلق. أهم وأخطر ما في هذه الشهادة أن ميرفت رأت ماريان تصعد مع يارا إلى منزلها أثناء مراقبتها الأولى لشكّها أنها السبب في تغيّب أمجد.

بسؤال الشرطة لميرفت، قالت أنها ظلت تراقب زوجة ابنها ولاحظت تغيُّرًا في سلوكها عزته في البداية إلى مرضها النفسي القديم، ثم لاحظت أنها لم تعد تذهب إلى المدرسة حيث تعمل، وظلت تتردد على مقهى يُدعى نيكس –وهو المكان الذي زعمت أنها شربت فيه حتى ثملت- وعلى مكان آخر في منطقة سور مجرى العيون، وأخيرًا على شقة في الدقي تبيَّن أنها شقة طالبات تسكن فيها الفتاة التي شوهدت معها من قبل، يارا.

حضر أهل يارا وقد صعقتهم تفاصيل حياة ابنتهم في القاهرة، وعرفوا سر تحججها بالمذاكرة كي لا تعود إلى بيتها كل أسبوعين كعادتها. صرخت يارا ولطمت وجهها، وترجّت رجال الشرطة أن يحبسوها ولا يسلموها إلى أهلها، فلن يصدق أحد براءة علاقتها بمعتز، ولم تكن الشرطة بحاجة إلى رجائها كي يتحفظوا عليها، فقد اعترفت بسهولة بكل تفاصيل الحادث وسلّمتهم هاتف معتز المحمول، وإن أقرّت أنها لا تتذكر أبدًا أن ماريان زارتها في نفس اليوم، كما لا تتذكر ما سبق ولا ما تلا مقتل معتز.

مرة أخرى لا توجد جثة، لكن الرجل صعد إلى الشقة ولم ينزل حتى غادرت ميرفت مكان مراقبتها بعد ساعتين من الوقوف في الشمس دون طائل، فلم تربط وقتها بين زيارة ماريان ليارا وبين اختفاء

معتز الذي لم تعرفه سوى من وسائل التواصل الاجتماعي بعد اختفائه بعدة أيام.

لم تجد الشرطة أثرًا لهاتف أمجد المحمول، ورجح الظن أن من أخذه أخرج منه الشريحة ولم يُعِد تشغيله بشريحة أخرى، وأشارت أصابع الاتهام إلى قاتله إن كان قتل قُتِل.

لكن مرة أخرى، أين الجثتان؟

أبلغت هند سهير بأمر اعتراف يارا واستدعاء ماريان، ثم أضافت:

- لا أعرف إلى أي مدى راقبت ميرفت ماريان، ولا ماذا رأت تحديدًا. وصلني الآن استدعاء من الشرطة، ولا أعرف ماذا أفعل في الأدلة التي وجدتها ضد زوجي!

- زوجك؟

حكت هند ما كانت ترتاب فيه بشأن صادق، وعن صلته بمستأجرات مقهى نيكس، والكتاب الذي وجدته في درج مكتبه.

- كنت أنتوي التسلل الليلة إلى نيكس لأرى بنفسي ما فيه. رأيت صادق يفتح المقهى ليلًا ويدخل ليمكث فيه نحو نصف ساعة. معي نسخة عن مفاتيحه، لكني لا أعرف إن كان في وسعي فعل ذلك الآن.. يجب أن ألبي استدعاء الشرطة. خذي حذرك يا سهير.

قالت سهير:

- هل يمكن أن ترسلي لي المفاتيح؟ أرسليها مع سيارة أوبر وضعيها

داخل ملابس أو أي شيء.

- لا تتورطي في الأمن.

- قد نتورط جميعًا لو لم نكشف سر نيكس

وانتظرت سهير وصول المفاتيح إلى متجر رجاء. فوجئت باتصال من أسامة، وهالها صوته الواهن التعس.

- سهير. كيف حالك؟

- بخير. أسمع صوت هواء حولك، هل خرجت؟

- أجلس على المقهى قليلًا، ثم سأذهب إلى محمد الصاوي في دسوق.

- ومتى ستعود؟

- إلى أين أعود يا سهير؟ طنطا؟ ليس لي بيت أعود إليه.

دق قلب سهير وتقلصت معدتها. الرجل في حال يُرثى لها فعلًا، لكنها غاضبة، مُهانة لا يفسر عقلها طلب أسامة فترة استراحة من زواجهما سوى أنه طردها من حياته بينما كانت تحاول التشبث به كقط أجرب.

في لحظات كهذه، لا ترى النساء أزواجهن إلا معبودات قدمن لهم قلوبهن أضحيات، فتأففوا من رائحة الدماء. تعجز سهير عن رؤية حماية أسامة لها من موهبتها منذ كانا في الرابعة عشرة سوى أنها استغلال لخوفها كي يتسلط عليها ويوهمها أن الحياة خارج أسواره

تعج بالخطر

أفهم تلك المشكلة -أنا لاشين- وأعرف أن داخل كل امرأة روحان تتصارعان، ولا يوقظ الروح الشيطانية فيها قدر الخذلان.

أسامة قد خذل سهير رغم حياته التي قضاها -وأنا أعرف هذا جيدًا- في الوقوف خلفها وصد سهام الشر عنها حتى ضعفت.

الآن ترتجف سهير وحدها، وتتخذ كل القرارات التي تؤكد لها أنها قوية ولم يضعفها أسامة، وهي في رأيي قرارات هوجاء تشبه تحديات الأطفال في اقتحام البيوت المسكونة. اختبار شجاعة بدائي.

- اذهب إلى محمد يا أسامة، ثم نتحدث حين تصل. مضطرة أن أذهب لمساعدة رجاء.

بعد نصف ساعة، وصلت المفاتيح لسهير داخل شترة. أخبرت رجاء بخطتها وهي تتناول معها الغداء في بيتها. أضافت:

- في الليل، تراقبين لي المدخل، وسأدخل أنا بالمفاتيح. أريد أن أعرف ما في الحجرة المغلقة.

- لو كانوا قتلة بالفعل يا سهير؟ ماذا ستفعلين؟

- ومن قال أنني سأدخل وهن بالداخل؟ تقول هند أنهن يرحلن الساعة الواحدة بعد منتصف الليل. سنمكث في سيارتي حتى نراهن يرحلن.

- لا. لنبتعد عن كل هذا.

- ماذا عن الشرطة؟ ماذا لو تورطنا؟ لو وجدنا دليل إدانة في نيكس أو ما يريب، يمكن للنساء الأربع الاعتراف بما حدث معهن.

- والتسلل يا مهير إلى أملاك الغير؟

- من سيعرف؟!

- لن تذهبي يا مهين لو استدعتك الشرطة، احكي لهم عن شكوكك في المقهى وهم سيتصرفون.

قالت نورا الجالسة في ركن الصالة تتابع التلفاز وتأكل نصيبها من الغداء:

- أنا من رأي مدام رجاء.

التفتت مهير نحوها تسألها:

- تقول ماريان أن حماتها تدعي أنها رأتها في منطقة مجرى العيون، هل يمكن أن تكون قد عاونتك بشكل ما في التخلص من صبحي؟

- صبحي «غار» في داهية، ولا يوجد إثبات على أن ماريان قد ساعدتني أو ساعدت يارا في... تفهمين.

- المنطق يقول أنها ساعدت يارا، ولا بد أنها ساعدتك.

قالت رجاء وهي تشير إلى نورا لتصنع الشاي:

- أو أنها هي القاتلة، ونورا ويارا لم تفعلا شيئًا سوى السماح لها

بقتل الضحايا.

- ولماذا تفعل ماريان ذلك؟

- هي مريضة نفسية، أليس كذلك؟

- لو فرضنا هذا، فما علاقتها بنيكس وصادق البدوي؟ رجاء.. الأمر مُعقد ونحن نتجاهل دائمًا أن صادق لديه كتاب غريب وأنه هو من أجر المتجر إلى الأخوات الثلاث...

تصمت سهير فجأة، ثم تفتح صورة الكتاب الذي أرسلته لها هند. معبودات قديمة.. ثلاثة أخوات يونانيات.. سحر وعُقَد بالشعر.. إلامَ قد يشير هذا؟

سؤال جوجل أسرع طريقة.

في الأساطير الإغريقية، ورد ذكر أخوات ثلاث أكثر من مرة، لزيوس كبير المعبودات اليونانية ثلاث أخوات، هيرا ربة الزواج والنساء والعائلة، ديميتر ربة الحصاد، هيستيا ربة المواقد وحامية المنازل.

ذُكِرت أيضًا الجرجونات الثلاث الممسوخات، لكنهن لم يكُنّ آلهة، بل مسوخًا من العالم السفلي.

وهناك الـ«موايراي» ربات القدر الثلاث، كلوثو ومعنى اسمها «التي تنسج»، وهي المسؤولة عن الولادة والحياة الشخصية، ولاشيسيس «المُخطِّطة»، وأتروبوس «التي لا يمكن تفاديها» وهي المسئولة عن

قص خيط الحياة.

كلوثو، لاشيسيس... كوكو، لامي...

تناولت مهير كوب الشاي من نورا دون أن تنظر إليها، يبدو أنها وجدت ضالتها. أخوات القدر الثلاث النسّاجة والمُخططة والتي تقص خيط الحياة.

لمحت مهير أعلى صفحة ويكيبيديا أسلاف الـ«موايراي». كرونوس الذي يلف عجلة الحظ، أنانكي تجسيد الحتمية، و.... نيكس، إلهة الليل، والدة هيبنوس «النوم»، وثاناتوس «الموت».

* * * * *

الفصل الثالث

الخيوط

-١-

استيقظت مهير زاهر ونظرت جانبها لترى ضوء الشمس يتسلل عبر النافذة، لكنها لم تكن إحدى نوافذ بيت رجاء، بل نافذة سيارتها.

تشعر بصداع، وببرد غريب.

تجفل.

تمد يدها إلى الوريقة على صدرها وهي تعرف ما فيها بخط يدها.

تمس رأسها فلا تجد شعرة واحدة عليه.

تغطي الصرخة بكفها قبل أن تغادر فمها وتلتقط هاتفها المحمول تتصل برجاء. لا مُجيب.

تدير مفتاح سيارتها وهي تلمح مفاتيح نيكس على التابلوه. المقهى على يمينها، مغلق.

تترجل وتنطلق نحوه، تدق بابه، فلا يجيبها أحد. تدير المفتاح في القفل وتدخل وهي تصوب كاميرا هاتفها المحمول نحو المكان الخالي. لا أثر لأي أثاث.

ترتجف وهي تنظر إلى أعلى بحثًا عن كاميرات مراقبة. لا داعي للبحث، فقد تورطت أكثر من اللازم حقًا.

فتحت باب الحجرة الجانبية، ودخلت.

هنا أود أن أقول –أنا لاشين- أنني فقدت متابعة سهير وقتها، كأنها دخلت إلى رَصَد لا يمكنني رؤية ما فيه.

خرجت سهير من المكان بعد نصف ساعة، ثابتة الجنان، تسير بخطى واثقة نحو سيارتها بعد أن أغلقت باب نيكس جيدًا.

اتصلت بأسامة فأجاب سريعًا كأنه كان ينتظر المكالمة.

- أسامة، لا بد أن نتحدث. لا يوجد على الأرض من يمكنه أن يحميني من نفسي سواك.

- سهى، ماذا حدث؟

- أعتقد أنني تورطت في كارثة. أين أنت؟ سآتي إليك؟

- بل سآتي أنا. لا تقودي سيارتك وأنت بهذه الحالة.

- ولا تقد أنت سيارتك وأنت تتعافى من أزمة قلبية. اركب المواصلات.

اتفقا أن يتقابلا في شارع هادئ قرب النيل، لا مكان فيه لمرور سيارة غريبة دون أن تكشفها سهى، ومكثت في سيارتها تحدق إلى المرآة في شرود

* * * * *

-٢-

لا تذكر سهير كيف نامت. فقط استيقظت ليلًا في سيارتها على مكالمة من رجاء تسأل عنها في جزع.

- لقد فقدنا الوعي يا سهير ليلة أمس. نورا ليست هنا ولا ترد على هاتفها. لقد خدرتنا اللعينة!

- هل.. شعرك يا رجاء..

- ما به؟ تقصدين أنني صرت صلعاء؟ كلا بالطبع. أين أنت؟!

- لا أعرف.. أنا.. في شارع ما من شوارع النيل. رجاء، لقد فقدت شعري...

حكت مهير لرجاء ما حدث، وأخبرتها أنها لا تتذكر أي شيء منذ دخلت الحجرة في نيكس حتى أفاقت الآن. انطلقت مهير إلى رجاء فدفنت رأسها في صدرها وبكت وارتجفت كأنها ابنة السادسة التي أخافتها الظلال في النيل.

- لنبلغ الشرطة يا رجاء، ولنطلب منهم أن يحبسوني. لن أقتل أسامة! يجب أن أتصل به لأحذره.

ظل الهاتف يرن للحظات قبل أن تدرك مهير أن حقيبتها تهتز. فتحتها بيد راجفة لتجد هاتف أسامة ينير ظلمتها، يهتز بلا صوت كأحبالها الصوتية الآن وهي تنظر إلى الوريقة جوار الهاتف والمكتوب عليها «اغتنمت الفرصة!»

* * * * *

-٣-

يقولون أن صادق البدوي مفقود. يقولون أن يارا قطعت شرايينها بملعقة بلاستيكية مكسورة، ولم ينجحوا في إنقاذها.

يقولون أنهم وجدوا هاتف أمجد المحمول في سيارة ماريان، التي لا تذكر كيف وصل إليها.

نورا مفقودة كذلك، لا بد أنها فرّت بعدما خدّرت مهير ورجاء. ويبقى السؤال، لماذا خدرتهما؟

هند كذلك مفقودة. ربما فرّت، ربما قتلها صادق أو قتلته، لكن الأهم

أن أسامة مفقود.

اتصلت سهير بمحمد الصاوي فأخبرها أن أسامة انطلق صباحًا إلى القاهرة ليقابلها في المنيل بناء على اتصال منها أرعد فرائصه.

خرج شريف يبحث عنه في المستشفيات، ومكثت رانيا جوار الهاتف تنتظر خبرًا... أي خبر.

أما سهير فلم تجد بُدًا من أن تتصل بي -أنا لاشين- وكنت لأسعد بهذه المكالمة لولا شعرت بالحياة تنسحب منها باختفاء أسامة.

- لاشين.. أنت تراقبني. أعرف ذلك.

- لا أراقبك يا سهير عقلي متصل بك، ولا أتلصص

- شياطينك هي المتصلة بي، وهي من منحتك تلك القدرة. لا تراوغ هل قتلت أسامة؟

أصمت، فأنا أعرف ما حدث بالتفصيل. تهمس شياطيني في أذني:

- قل لها أنها قتلته، أو قل لها أنك لا تعرف، لكن لا تخبرها بمكان هذا التعس.

- ستكون سهير في خطر يا آدم لو عرفت الحقيقة.

- أسامة مريض، وقد لا ينجو مما حدث له.

- قل لها أنك لا تعرف يا آدم...

أقول أخيرًا كحل وسط بين ما أريد وما تريد شياطيني وما تمليه

على الأخلاق:

- الأمر ليس كما تظنين يا سهير. الخطر موجود، لكني أخاف عليك من فضولك وشجاعتك وتهورك.

- لو أنني قتلته لقلت لي. أعرفك جيدًا يا آدم، ولنقل أعرف جيدًا كيف أفصل بينك وبين شياطينك. شكرًا لك.

أغلقت سهير الخط، وأمسكت بيدي رجاء تهتف بها:

- مَن القادر على دخول مقهى نيكس دون أن يتأثر بما يحدث في الحجرة الجانبية؟

- لا أعرف.. ألم تقل هند أن زوجها فعل ذلك؟

- ومن يعرف إن كان قد تأثر أم لا؟ الرجل يرتدي بيريه دائمًا، ولا يشك أحد في الرجال الذين يحلقون شعر رأسهم.

- أتعنين أن تأثير الأخوات يسري على الرجال والنساء؟

- ربما.. ما فعلته بنا نورا أنساني ما توصلت إليه قبل أن أفقد الوعي. الأخوات الثلاث هن ربات القدر يا رجاء، يغزلن وينسجن بالشَّعر ويقطعن خيوط الحياة عن طريقه.

- أولًا لا وجود لأرباب سوى الله...

- ... هذا لا يمنع أن تكون الأخوات مخلوقات شريرة عبدها البشر في الماضي. تذكري الكتاب الذي وجدته هند.

- ... ثانيا، ما علاقتهن بنا؟ ما الذي جاء بهن إلى مصر؟

- شخص يؤمن أن المصريات مقهورات مُستعبدات. شخص عاش عمره يتعرض لقضايا قتل وتعذيب ضد النساء يسكت عنها المجتمع. هو شخص مُختل، لكن لاختلاله خلفية حقوقية ...

- زوج هند؟

-أستاذ حقوق الإنسان الذي لا يهتم بزوجته ويراقبها ويؤجر متجره لتلك الكائنات. ربما يعبدهن كذلك.

- ربي... هذا يعني أنه..

-قتل هند يا رجاء. لقد قادها فضولها إلى حتفها!

*****

-٤-

نعود للوراء قليلًا لأحكي لكم –أنا لاشين- تفاصيل لم أعرفها سوى لاحقًا.

يبدو أنكم حانقون من أسامة بسبب ضعفه وتخاذله واكتئابه. كيف لم يتصل بسهير إلا لمامًا طيلة هذه الفترة وهو يعرف طبيعة حياتها وموهبتها؟

هل حقًا أنساه الاكتئاب سهير؟

كنت أتمنى أن يكون قد تخاذل أو نسيها، تمنيت لو أثر عليه اكتئابه،

لكن الحب يا رفاق يفعل ما لا يتوقعه بشر ولا شياطين.

منذ أقامت سهير في بيت رجاء، وهو لا يكف عن سؤال الأخيرة عنها. خمس مكالمات في اليوم تحكي فيهن رجاء كل ما تمر به سهير. أراد أسامة أن يمنح زوجته حرية دون ضغوط اكتئابه الذي -كمختص في علم النفس- يعرف مدى قوته وسيطرته على مزاجه وكلماته وتصرفاته.

حين يراجع أسامة تصرفاته مع سهير مؤخرًا، يتأكد أنه قد صار وغدًا، يتهمها اتهامات مخفية تهين أي امرأة مكانها، لكنه بالفعل عاجز عن السيطرة على نفسه إلا بالابتعاد عنها.

حكت له رجاء أمر الصلعاوات، ثم بعدما حكت له تفاصيل مقتل صبحي، هتف:

- هذه النساء واقعات تحت تأثير التنويم الإيحائي. إن كن صادقات -ولا أجد سببًا يدفعهن للكذب عليكِ وسهير حتى الآن- فقد أثر عليهم أحد. غالبًا تلك المرأة كوكو.

- أتعني.. مثلما نرى في الأفلام القديمة؟ يؤرجحون بندولًا أمام عيني الضحية ويأمرونها أن تحلق شعرها وتقتل؟

- بالطبع لا يا رجاء. التنويم الإيحائي علم ويلجأ إليه أحيانًا المُختصون في علاج القلق واضطرابات الطعام والصدمات النفسية، لكنه ليس سحرًا ولا يؤثر في المرضى بهذه السرعة والكفاءة. لا يمكن السيطرة على أحد به على طريقة الأفلام، لكن إن انضمت

هؤلاء النسوة عن اقتناع إلى منظمة إجرامية لقتل الرجال، فلن يكون التنويم بالإيحاء إلا مشجعًا لهن على ارتكاب الجرائم، وعاملًا لإراحة لضمائرهن أو للحد من التردد أثناء ارتكاب الجريمة.

- أتعني أنهن مدركات لما فعلن؟

- ربما قد نسيت ماريان أنها قتلت زوجها، لكن النية كانت مُبيّتة عن وعي.. ربما استخدمت زعيمة هذه المنظمة بعض الأدوية التي تُضعف الإرادة لسهولة إقناعهن. أبلغوا الشرطة يا رجاء وابتعدوا عن كل هذا. ربما كانت مسألة مقتل زوج ماريان استثناءً ولا توجد جمعية لقتل الأزواج من الأساس.

لكن ارتباط رجاء بنورا وشعورها بالمسؤولية تجاهها دفعها للاستمرار في مراقبة الأمر خشية أن تتكرر الجرائم. ظنت رجاء أنها وسهير بعيدتان عن الخطر وأن عليهما إنقاذ هؤلاء النسوة من براثن منظمة غامضة النوايا. أضف إلى كل هذا، لا يمكن أن تتحدث رجاء عن التنويم بالإيحاء مع سهير فهي لا تعرف عنه شيئًا ولن تصدق الأخيرة أن هذا الاستنتاج من بنات أفكارها.

ثم بعد مقتل صبحي، توقفت رجاء عن حكي أي شيء بصدد هذه القضية لأسامة، وأخبرته أنهن قد ابتعدن عن الأمر كما طلب، وأن والدة أمجد أبلغت الشرطة باختفائه وسيتولون هم التحقيق بعيدًا عنهم.

بسبب ستر الله فقط، أفاقت رجاء يوم خدرتها نورا في نفس الوقت

الذي أفاقت فيه سهير تقريبًا، لكن الأخيرة كانت داخل الحجرة في نيكس وقت استيقاظ أختها. حين لم تجد رجاء شقيقتها ولا الفتاة، اتصلت بأسامة وحكت له كل شيء وطلبت منه أن ينجدهن.

- رباه.. هل لهذا علاقة باتصال لاشين بي وطلبه أن أعود لسهير؟! هل يعرف شيئًا؟ لقد اتصلت بسهير أمس و...

- من اتصل بك؟! لاشين؟ لا يهم الآن، حافظ على نفسك يا أسامة ولا تقابل سهير تحت أي ظرف.

بعد أقل من نصف ساعة، اتصلت سهير بأسامة وطلبت مقابلته. في البداية اعتبر مكالمتها استغاثة من المأزق الذي حكته له رجاء، لكن سرعان ما استعاد تركيزه، وعمل عقله بسرعة أصابته بالصداع وهو في طريقه إلى القاهرة، راكبًا ميكروباص جوار السائق المسرع. سيصل قرب الليل لا محالة، فلا يمكنه الطيران.

ماذا تفعل النساء بالشعر؟ يغزلن به؟! هذا ما رأته رجاء.. ما الغرض؟

ثم – وكأنها رسالة من الله- انطلق صوت المقرئ من مذياع الميكروباص يتلو آيات من سورة الفلق «قل أعوذ برب الفلق، من شر ما خلق، ومن شر غاسق إذا وقب، ومن شر النفاثات في العُقَد، ومن شر حاسد إذا حسد.»

من شر النفاثات في العُقَد. قالت رجاء لفظًا أنها لم ترى سوى (عُقَد) في تطريز لامي. سِحر؟ النساء مسحورات؟

يعرف أسامة شيئًا أو اثنين عن سحر إلقاء التعاويذ على عُقد

الحبال أو القماش، لكنها معرفة سطحية في حدود ما ذكره الإسلام عن هذا الأمر وما رآه في قريته وفي الموالد. من قد يعرف أكثر عن السحر؟ من قد يعرف أكثر عن شياطين الإنس، السحرة؟

اتصل بي أسامة، وهي المرة الأولى التي يفعل فيها هذا، وسألني:

- يا باشمهندس، ماذا تعرف عن السحر والعُقَد؟

- سؤال يذكرني بأسئلة الامتحانات من نوعية اذكر ما تعرفه عن حشائش السافانا.

- ألا تعرف كيف تجيب مباشرة؟

- يمكنك أن تقول لي أن سهير في خطر وسأجيبك سريعًا.

- أنت تعرف أيها الـ.. أستغفر الله العظيم. أنت تعرف أنها في خطر ولا تُحرِّك ساكنًا؟!

- أنا مجرد عاشق، وأنت الزوج. لقد منحتك فرصة العودة لسهير ويجب أن أحتفظ بحدودي في علاقتكما حتى أرى إن كنت تستحقها.

- أناني وقح متعجرف. أنت حثالة البشر.

- هل تريد إجابتي أم ستتعالى على المعلومة التي تأتي من ناحيتي؟

- أجب.

- سحر العُقَد يا دكتور هو أقدم سحر مُوثّق في التاريخ. هل سمعت عن عُقدة إيزيس؟ الـ«تيت»؟ تشبه رمز مفتاح الحياة «عنخ»، لكن بذراعين مقوسين إلى أسفل، تُدفَن مع الموتى لتحفظهم في العالم الآخر ويقال في كتب السحر أنها تُحفظ مع الميت لتربط مصيره بآخر حي فيموت. هذا ما يستخدمونه اليوم في السحر الشعبي، عقدة إيزيس من قماش الكفن تدفن قرب صدر الميت.

- أعوذ بالله...

- ثم ورد ذكر العُقد السحرية والغزل والنسج بذكر الـ«موايراي» اليونانيات والـ«نورن» الإسكندنافيات اللاتي يغزلن خيوط الحياة. لأودين كبير الآلة الاسكندنافية عُقدة سحرية خاصة به، «فالكنوت»، بها يقيد الجنود إلى ساحات المعارك.

- لا وجود لهذه الآلهة.

- لا زلت تنكر يا دكتور وجود مخلوقات الظلام التي تخدع البشر ليعبدونها من دون الله؟ حتى بعد ما حدث مع مهاب ومهر؟

- ليس هذا وقته. أكمل...

- لن أبتعد بك أكثر. أنت طنطاوي وحضرت الموالد مع سهير. لا بد أنك رأيت سحر الخيوط المعقودة، والحبال السوداء التي يأتي بها الناس لدجالي الموالد كي يحلّونها.

- ما الحل مع هذه العُقَد؟

- جِدها أولًا، ثم...

أخبرته بالطريقة المضمونة لحلّها، لكني لا أعرف كيف سيجد الفَقَد أو سيتصرف مع من صنعها. ما زال الأمر خطرًا، لكنه اختبار جيد لاستحقاق أسامة لسهين.

***

نزل أسامة من السيارة الأجرة في المكان الذي حددته سهين فوجدها جالسة في سيارتها. ما أن رأته حتى خرجت. ترددت قليلًا ثم منعت نفسها من الانطلاق نحوه ومعانقته كما أرادت وكما ظهر في عينيها، واكتفت بابتسامة.

جلس جوارها في سيارتها. نظر إلى عينيها فتحاشت النظر إليه وقالت وهي تناوله كوبًا حافظًا للحرارة:

- الشاي الذي لا يمكنك العيش بدونه. صنعته لك بنفسي. أتمنى أن تكون قد افتقدته.

- افتقدت صانعته والبيت الذي أشربه فيه. ماذا حدث يا سهين؟

فتح أسامة غطاء الكوب ليبرد الشاي، بينما حكت له سهين ما حدث في مغامرة المقطم وقرارها أن تترك البرنامج. لا يوجد جديد فيما تقول.

لاحظ أسامة أنها تحدق إلى الكوب في يده أثناء حديثها. لم يكن ينتوي أن يشرب منه بالطبع، لكنه همّ بالتظاهر أنه سيشرب،

فدعست سهير ساقه بقوة وهي تحدق إلى الكوب.

- ما بك؟

لم ترد سهير ودمعت عيناها دون أن يتغير تعبير وجهها البارد.

- لا تريدينني أن أشرب الشاي؟ ادعسي ساقي مرة أخرى إن كان الأمر كذلك.

دعست قدمه بقوة أكبر وهي تهمس:

- ماذا يحدث لي؟! أسامة؟! هناك.. هناك من يراقبنا..

فقدت سهير الوعي، فنزل أسامة ودار حول السيارة ليدفع سهير إلى مقعد السائق. قبل أن يركب، شعر بضربة قوية على مؤخرة رأسه، وسقط على الأرض، وقبل أن يغمض عينيه ويفقد الوعي، رأى زوجين من الأحذية النسائية.

بعد ساعتين، أفاقت سهير على اتصال رجاء، وهي لا تذكر شيئًا عن مقابلة أسامة ولا اتصالها به.

* * * * *

-٥-

فكرت سهير أن تبلغ الشرطة، فربما لا يؤثر سحر الأخوات في هذا العدد من رجال الشرطة حين يقتحموا المقهى، لكن ما أدراها أنهم سيتحركون بالسرعة الكافية لإنقاذ أسامة؟ ما أدراها أنهم لن

يحتجزوها وإلا صار الأمر غير قابل للسيطرة.

اقترحت رجاء أن يبلغوا الشرطة بلاغًا من مجهول، ثم ينطلقا سويًا إلى المقهى، فتجلس سهير في سيارتها مع أختها، وتضع حجري الأوبسيديان على عينيها، وتمسك قلمها لترسم ما تراه قدر استطاعتها.

تغمض عينيها وتفكر في أسامة. كلا، يجب أن تفكر في الشعر في الخيوط. هي لا تعرف مكان أسامة، ولا تملك سوى هذا المكان.

دائمًا ما يحتاج حجرا الأوبسيديان إلى تحديد مكان، لا أشخاص.

تشعر بنفسها تطفو في الظلام الدامس. لا ترى شيئًا، لكن يدها تتحرك بالقلم، فيدرك عقلها أنها ترسم خيوطًا، حائطًا كاملًا مغطى ببكرات خيوط مُتربة.

الحائط المقابل... خصلات معقودة بالمئات. عقدًا ثلاثية وسباعية...

في المنتصف... الحجرة أطول مما توقعت...

ثمة امرأة تحمل شيئًا معدنيًا. ترسم سهير مقصًا عملاقًا يقص عقدًا.

ترسم أجسامًا متدلية من السقف.. جثثًا...

* * * * *

-٦-

يفتح أسامة عينيه والصداع يشق رأسه إلى نصفين.

هناك من يتحرك في الظلام حوله.

- من هنا؟!

يجيبه صوت امرأة قوي:

- أتروبوس.

- مَن؟

- ربة القدر التي لا يمكن تفاديها.

يسمع صوت شيء يُقَص، ثم شيئًا ثقيلًا يهوي.

- من يأتي وقته، يرحل. لم يأتِ وقتك بعد يا أسامة. حصادك بعد صبحي...

يسمع صوت خطوات تبتعد. باب يُفتح فيدخل منه ضوء خافت للحظات، يرى خلاله حائط عُقد الشعر أمامه، والأجساد المعلقة حوله، والجثة الملقاة تحت قدميه.

- النوم يحرس بوابتنا، والليل يوصدها. لن يجدك أحد. اهدأ.

يُغلَق الباب. يصرخ أسامة فلا يُجيبه أحد.

يحاول التملّص من القيد الذي يوثقه ويعلّقه إلى السقف. دقائق من تملص جسده ثقيل الوزن كسرت الحامل المعدني الذي يحمل الحبل، فسقط أسامه يئن.

يبدو أن ساقه قد تأذت.

يمد يديه أمامه ويحجل على ساق واحدة. يبحث عن هاتفه في جيبه فلا يجده. يلهث. لماذا لم يُجر عملية تركيب الدعامة؟ يلعن نفسه واكتئابه حتى يصل إلى الحائط.

يتحسس العُقَد بيد مرتجفه. يبحث عن بدايتها ويحاول فكّها وهو يتلو -كما نصحته- المعوذتين، والإخلاص مع بداية فك كل عقدة.

يتذكر ما قلت له:

- الإيمان يا دكتور. الإيمان بالله وبكلماته هو ما يفُك العُقَد ويُبطل السحر. الإيمان هو ما يجعل لكلمات الأدعية المرتجلة معنى. الإيمان بالله يا دكتور وبالميثاق الغليظ بينك وبين مهير بكلمة الله، بكل ما أمرنا وأوصانا به. لن يقف السحر أمام الإيمان...

يردد أمامة الآيات بصوت أعلى، ويتذكّر كيف بكت مهير ودعست قدمه. كيف قاومت ما لم تقاومه الأخريات. حبهما أعمق، أقدم.

أعرف -أنا لاشين- أن صبحي لوّث علاقة الأخوة بينه وبين أخته، وأصابها من سواد قلبه ما أغرق حبهما.

ترك أمجد طرفًا ثالثًا يضرب بسياط لسانه ما كان بينه وبين ماريان من حبٌ. لم يرأف بحالتها النفسية، ولم تغفر له زلاته. كانت ميرفت كالحائط بينهما يراها كل منهما ولا يرى الآخر.

عناق واحد من نفس دم ولحم يارا كان سيقيها شر عناقات الطمع والتلاعب. عناق واحد صادق كان سيحرر معتز من حفرة بناها

لنفسه وراح يجذب فيها كل من تطوله يداه.

بضع كلمات صادقات كانت ستمحو من عقل هند ارتيابها، ومن صدر صادق أوهامه. كيف لزوجين ألا يفضيان إلى بعضهما ما يؤرقهما؟ كيف ينامان متجاورين وفي كل قلب ما يقلّبه على الآخر؟

يفك أسامة العقدة الثانية، فيسمع أنينًا خافتًا. يتحسس بكفيه مئات العُقد على الحائط. أي عقد للأجساد هنا، وأيها للآخرين الذين ينتظرون حتفهم، وأين هم؟

هو يحب مهير وقد شاركها جنونها مرات دون أن يشعر. صار أحد ضيوف برنامجها الأساسيين، فاستمع لمشاكل المستمعين الماورائية، وحللها معها.

خاض غمار القدرات الخارقة والشياطين معها على متن الشمندورة، السفينة النيلية التي أقيم عليها زفاف ابن أخيه. أنقذها من السقوط في النيل، واستنتج المُتسبب فيما يحدث، وساعد في التخلص من دمية الأرنب الملعونة.

استضافني -أنا لاشين- في منزله وحاورني رغم الغيرة المشعلة بداخله. لم يشك أسامة يومًا في أن مهير قد تتركه لأجلي. كل ما أسقمه هو فكرة أن تتركه فقط. أن تجد سعادتها في الابتعاد عنه.

تعرف مهير أن أحدًا لن يحبها كما أحبها أسامة. ليس بطلًا، ليس كلي القدرات، ليس وسيمًا، ليس غنيًا، لكنه أسامة.. المُحب العاقل الشجاع. الأب الذي يقطع من قلبه فيمنح ابنيه وحفيده. العالِم الذي

يؤمن أن في علمه خلاص البشرية. العاقِل الذي يعرف متى وكيف يؤمن بما هو خارج حدود المنطق.

سهير لا تحب أسامة لأنه يحبها. سهير تحبه لأنه غرس قلبًا في صدرها بعدما عاشت سنوات طفولتها تخشى الظلام والصمت وما خلف الزوايا الموحشة وما يتربص بها في الأركان. هو من طمأنها وشد على كفيها ووعدها أن تكون لها حياة منيرة، صاخبة بضحكات الأبناء وباللوحات الملونة وبالسفر والقراءة ورائحة الطعام الذي يتفنن أسامة في طهوه أيام الجمعة، وينهي فيه مخزون السمن في المنزل.

يفك أسامة العُقد بإيمانه بالله والرحمة والمودة التي خلقها في القلوب..

***

تتوقف سهير عن الرسم وينزلق حجر من فوق عينيها، فتعيد رجاء تثبته مرة أخرى.

- ماذا يحدث يا سهير؟

شيء زلق يُسقط الحجر مرة أخرى. شيء لزج على أصابع رجاء. تضيء كشاف هاتفها المحمول لتتفحص على ضوئه أصابعها.

دماء...

عيني سهير تنزفان.

تهزها رجاء بقة وتهتف:

- سهير؟ ماذا يحدث؟ أفيقي؟!

تغمغم سهير:

- أسامة...

- أين هو؟ بالداخل؟!

- أسامة...

ترتخي عضلات سهير ويميل رأسها على كتفها.

تبحث رجاء عن مفاتيح نيكس، وتغلق سيارة سهير جيدًا بعدما تنزل منها وتعبر الطريق إلى المقهى. قبضتها ترتجف وهي تمسك عُكازها وتصعد الدرجات. تدير المفتاح في القفل وتدخل إلى المكان الخالي المُظلم. تتلو ما يخطر على بالها من آيات القرآن بصوت مرتجف.

تقف خلف باب الحجرة وتهتف:

- أسامة؟ هل أنت هنا؟

- رجاء؟ رجاء! افتحي الباب!

- سأفتحه واخرج أنت سريعًا.

تفتح رجاء الباب المفتاح وتدير المقبض ثم تتركه وتلصق ظهرها بالحائط وتغمض عينيها.

- رجاء، هل معك كشاف؟

- اخرج يا أسامة.

- لن أخرج قبل أن أنهي ما أفعل. يمكننا إنقاذ الناس بالداخل.

تتنهد رجاء وتضع هاتفها المحمول ذا الكشاف المضيء على الأرض، ثم تدفعه بعكازها إلى داخل الحجرة.

- ماذا تفعل؟ كيف لم تُغيِّرك الحجرة؟

- لا أعرف. كان هناك شيء وضعته سهير في شرابي ولم أشربه. ربما كان هذا هو السبب. ربما لأنني أحد الضحايا لا أكثر ولا يعرفون أنني أعرف ما أعرفه.

أضاء أسامة الكشاف ليرى الأجسام المُعلقة حوله. شاب على الأرض تحسس نبضه فوجده ميتًا. شابين مُعلَّقين ميَّز من بينهما معتز الذي رأى صورته على فيسبوك مرارًا بعد اختفائه. هناك رجل في بداية الخمسينيات كذلك، وامرأة. هذه هي المرأة الوحيدة هنا.

- أعتقد أن جثث الرجال المفقودين هنا. أعني، واحدًا منهم فقط مات، والآخرين فاقدو الوعي. ثمة امرأة وحيدة كذلك.

- صفها لي.

- بيضاء، أربعينية، صلعاء بالطبع...

- ترتدي ساعة ذهبية رفيعة؟

- أجل.

- هند... ربي. لا أعرف شكل زوجها، لكني أظنه بالداخل طالما هناك أربعة رجال. يبدو أن الأخوات قد علمن بما اكتشفته هند عن زوجها، فخطفنها و... من يكون الخمسيني بالداخل؟ زوجها؟ الحيزبونات عاقبن زوجها. انقلبن عليه. لا يمكن الثقة في سحرة أبدًا.

لم تمض دقائق أخرى حتى صدحت أصوات صافرات سيارات الشرطة، فهتفت رجاء:

- يجب أن نرحل، هيا يا أسامة.. وجودك سيوزط سهير.

رأت رجاء ضوء كشاف الهاتف يتأرجح ويخرج من الحجرة وخلفه أسامة يجر ساقه خلفه. تركت له عكازها وهرعت تغلق باب الحجرة كما كان، ثم عادت تمسك بصماتها وتتعثر حتى خرجت مع أسامة وأغلقت باب المقهى.

الأضواء تقترب ببطء والشكر لشوارع المنيل التي تضيق بالسيارات الواقفة على الصفين.

ما زالت الليلة طويلة، وعليهما أن يجدا من يساعد سهير.

*****

الفصل الرابع

القَص

نُقِل أمجد ومُعتز في حالة متدهورة من قلة التغذية والجفاف إلى مستشفى قصر العيني، ونقلت جثة صبحي إلى المشرحة، أما صادق البدوي وهند فكانا فاقدي الوعي وفي حالة جيدة إلا من إصابة في رأس الزوج.

توقفت سيارة الإسعاف التي كانت تنقل هند في الطريق، وظلت واقفة مكانها دقائق حسب تفريغ كاميرا المراقبة في متجر قريب. ظهرت سيارة سوداء بلا لوحات وقفت خلفها.

توقفت سيارة إسعاف أخرى على جانب الطريق الآخر. ثم انفتح الباب الخلفي للسيارة الأولى ونزل واحد من المسعفين متجهًا نحو السائق، ونزلت هند بعده تركب السيارة التي انطلقت عبر الشوارع إلى المجهول قبل أن تنطلق سيارة الإسعاف الثانية.

يقول المسعف أنه لا يتذكر سوى أن المصابة أفاقت، ثم بقوة عاتية ضربت رأسها في رأسه، ثم حقنته بشيء ما فقد على إثره الوعي، ويقول السائق أنه سمع المسعف يأمره بالتوقف للحظات، فالمريضة تحتاج إلى فحص عاجل دون ارتجاج. توقف، ثم رأى المسعِف يفتح بابه ويحقنه بمخدر.

أثبتت التقارير وجود عقار مهدئ في دماء المسعف والسائق، رجّح أسامة فيما بعد أن هند استخدمته لتسهيل تنويم المسعفين

بالإيحاء. هذه قدرة فائقة لم يثبتها العلم لأحد قبل هند.

كانت شهادة صادق البدوي هي ما أنقذت المسعف والسائق من شبهه تهريب هند، إذ صرّح للشرطة بعد تحسن حالته أنه وزوجته هند الشافعي -خريجة قسم الكيمياء من كلية العلوم- قد تزوجا منذ ثمانية أعوام زواج «صالونات»، ولم ينمُ بينهما أي حب، لكن العلاقة استمرت لعدم وجود مشاكل حقيقية بينهما اكتشف صادق بعد عامين من عدم الإنجاب أن زوجته تتعاطى أدوية منع الحمل، لكنه لم يُعلّق وعزا ذلك إلى أنها لم تعتده بعد، لكن ما فجّر الأمر اكتشف استمرار حبّها لابن عمتها الذي رفضته عائلتها لعدم التزامه الأخلاقي، وحين واجهها أنكرت حبها له واعتذرت وقررا بدء صفحة جديدة أثمرت عن طفلين ماتا في مهدهما لأسباب مجهولة، ولم ينجبا بعدها.

تذكر انك حملت رواية لاشين الكتاب التاسع نادي الصلعاوات حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

تخفيفًا من وقع الصدمة على هند، ساعدها صادق بواحد من المتاجر الثلاث التي ورثها عن عائلته، ومنحها حرية استخدامه كما تشاء، فقررت وزميلة لها توليف تركيبات خاصة بهما لمنتجات علاجية وتجميلية نسائية وباعتها هند في متجرها بعد رواجها على

الإنترنت.

خلال العام الماضي، لاحظ صادق تغيُّرًا في سلوك زوجته. هو ألفها باردة ولم يهتم كثيرًا لهذا، إذ كان أغلب وقته منشغلًا في أبحاثه ودراساته والتدريس في الجامعة، ولديه معارف يعيشون حياة مشابهة لحياته من حيث البرود والرتابة. لا شيء يدعوهم للطلاق، وهو أبغض الحلال كما يعرف الجميع.

لم يشك صادق قط في أخلاقها، لكن تغيُّرها كان أكبر من قدرته على التغاضي. ربما قد أحبها بعد كل تلك السنوات. ربما اكتشف جمرة تحت سطح حبهما المتجمد.

ترك لها حريتها، وإن راقبها من وقت لآخر ليعرف إن كانت بخير. لم يجد ما يريب في تصرفاتها واكتشف مجموعة صديقات جديدات لها، رآها أول مرة مع ثلاثتهن حين ذهبت تستقبلهن في المطار، ثم تقابلن عدة مرات في أماكن عامة ثم في فيلا الثلاثة في المنيل.

عرَّفته على واحدة منهن تُدعى مدام كوكو، أو كلوثو مانتالوس، يونانية عاش أهلها في مصر منذ عقود، وقد كانت تتنقل بين مصر واليونان حتى قررت تجربة الاستقرار في مصر وافتتاح مقهى راق، وهو النشاط الذي برعت فيه وأخواتها في اليونان.

يقول صادق في لقاء صحافي:

هكذا أجَّرت لها متجرًا من متاجري، ووجدتها تستأذنني أن تستخدم ديكور الخيوط الذي كنت أخزنه في المخزن المرفق

بالمتجر لأنه يناسب حبها وأخواتها للغزل والحياكة، فوافقت رغم حنقي من أنها فتّشت ما تركته أمانة في المخزن.

تكرر طلبها باستخدام أدوات الحياكة القديمة وماكينة الخياطة و.. و.. كنت أذهب إليها لتريني ما تحتاج فأوافق إرضاءً لهند التي اعتبرت المقهى متنفسًا لها، مما أثار بعضًا من حنقي تجاه كل هذا. كيف لا ترى أنني أحاول إرضاءها؟

تصاعدت حِدة المشاكل أكثر حين شممت رائحة غريبة تفوح منها من وقت لآخر مع عدم اتزان في الحركة. هند تعاقر الخمر وهو ما استنتجت أنها عادة خبيثة اكتسبتها من الأخوات كما اكتسبت كلمات يونانية تغمغم بها أثناء نومها.

أصبح كل حديثها حين تأتي سيرة الرجال أو النساء المقهورات حادًا غاضبًا. كحقوقي، كنت أتفهم سبب غضب أي امرأة من الانتهاكات التي تتعرض لها في بيئات ذكورية بطبيعتها. لكن هند لم تغضب بهذا الشكل من قبل تجاه هذه الأمور.

ثم بدأت مشكلتي مع فجوات الذاكرة. أجد نفسي في مكان وأنا لا أعرف كيف ولا لماذا جئته، أو أفقد الوعي لساعات دون سبب. في نفس الوقت، لاحظت أنها تقضي وقتًا داخل مخزن المتجر أكثر مما تقضيه خارجه. ماذا يحدث بالداخل؟

استنتجت أنهن قد حوّلن المخزن لوكر لتعاطي الخمور أوالمخدرات طلبت مقابلة كوكو في المخزن متعللًا أنني أحتاج شيئًا منه،

ودسست كاميرا مراقبة.

ما رأيته بعد ليلتين كان أغرب مما تصورت. هند تعبد إلهة تُدعى نيكس، ورأيت تمثالًا لها تشبه طائرًا أسود أو امرأة بجناحين. الطقوس باليونانية ترجمها لي زميل يُدرِّس اللغة -لم أره الفيديو بالطبع، سمعه فقط- وأخبرني أن تلك النساء يعتبرن أنفسهن بنات الليل، نيكس، ابنة كايوس «الفوضى» الأولى. في ظلام نيكس سيتحررن من عبودية الذكور.

بالبحث، عرفت أن نيكس إلهة يونانية لم تُعبد مُنفردة، إنما في خلفية عبادة آلهة أخرى، خاصة إلهي الموت والنوم، ابنيها. قرابين نيكس لا تكون إلا حيوانات سوداء، يحرقونها تقرُّبًا.

استعرت كتابًا مختصًا في تلك العبادات، عرفت منه أن هناك من الوثنيين من وسَحَرة الـ«ويكا» من يعبُد نيكس حتى الآن، يقدمون لها الأزهار والأحجار الكريمة داكنة اللون.

لاحظت بالطبع أن من سلالة نيكس ربّات القدر ومنهن من تُدعى كلوثو. هذه ليست مصادفة.

أثناء انخراطي في البحث، اختفت كلوثو وأغلقت المتجر يومين أو نحو ذلك، ثم جاءت أختها مكانها، ولم تعد الكاميرا في المخزن تُريني أي شيء. فقط ظلام حالك. لاحظت مجموعة أخرى من النساء حول هند، منهن طالبة لدي في الكلية، وكنت أحفظ شكلها من وسط مئات الطلبة، إذ كانت ابتسامتها تشبه ابتسامة ليلى مراد

المميزة.

سرعان ما لاحظت تحركات غريبة لهند وصديقاتها الجدد، وذبلت يارا بعد ارتدائها الحجاب، وصارت أكثر شرودًا مما ذكّرني بحالتي أنا نفسي.

الليل، النوم، الموت...

وقبل أن تجدني الشرطة في المخزن بنحو يومين، باغتتني هند في مكتبي، وضربتني على رأسي والجرح واضح هنا، حتى فقدت الوعي ولم أفِق إلا في المستشفى.

الآن أعرف أن هناك جرائم قتل حدثت وما أحكي قد يفسر الكثير. نادي الصلعاوات نادٍ وثني سحري، تحاكي فيه كلوثو وأخواتها ربات القدر فيغزلن لنيكس بالشعر الأنثوي الأسود، ويقدمن لها الرجال الموصومين بخُلكة الذكورية المزعومة قرابين.

يبدو أن هؤلاء النساء قد علّمن هند طريقة من التنويم المغناطيسي، فقبل كل شيء النوم واحد من أفراد النادي المريع، نادي الصلعاوات.

***

لم تُسفر التحريات عن معرفة مكان الأخوات الثلاث ولا هند، وإن وجدوا نورا تهيم على وجهها قرب مسجد السيدة عائشة ولا تتذكر أي شيء عن نفسها أو الجرائم التي تورطت فيها، فنُقلت إلى مستشفى العباسية لفحص حالتها العقلية هي وماريان، لم تُعلن

النتيجة بعد.

لم تجد الشرطة اسم كلوثو المثبت في العقد ضمن من دخلوا مصر، وأكدت التحريات أن رقم جواز السفر غير صحيح، أي أنه مزوّر.

اختفت هند، واستنتج الجميع أنها ربما غادرت البلاد بطريقة غير شرعية.

أصيب أسامة بتمزق في أربطة قدمه، وهو أمر لا يهمنا في شيء الآن.

عانت سهير نزفًا من العينين، شخصه الأطباء بنزف في الشعيرات الدموية نتيجة ارتفاع ضغط الدم. لا يوجد ما يُقلق.

لكن كلنا نعرف أن الأمر لم يكن نزيفًا عاديًا.

***

جلست سهير ورجاء وأسامة على الأريكة في صالة رجاء، تضع سهير قلنسوة على رأسها تغطي صلعتها، وتنظر إلى وجه البروفيسور لويد أستاذ الباراسيكولوجي وهو يتحدث عبر تطبيق زووم.

- مدام زاهر، قدراتك ليست مألوفة لنا بالكامل، وليس لها مثيل في سجلات مركز جوزيف بانكس راين. البعض لديهم القدرة على طباعة الأفكار على أفلام التحميض، والبعض لديه قدرة الرؤية عن بُعد. من الشائع أن تظهر القدرات الفائقة للحواس كمجموعة قدرات

مندمجة، لكن حالتك تختلف.

يسأل أسامة بإنجليزية عرجاء:

- ما المختلف؟ لديها قدرتان فقط.

- تنقسم قدرات ما وراء علم النفس إلى قسمين، قدرات فائقة للحواس، وقدرة العقل على السيطرة على المادة. الأولى تشمل كل ما يدركه المرء دون استخدام حواسه، مثل أن يرى حدثًا في مكان آخر بعقله لا بعينه، أو يسمع أفكار شخص آخر دون استخدام أذنيه. يضم هذا القسم أيضًا قدرات الواسطة الروحانية، أي تواصل الوسيط مع كيانات أخرى دون استخدام حواسه الخمس. قدرة السيدة زاهر على الرؤية عن بُعد باستخدام حجري الأوبسيديان تقع في هذا التصنيف.

قالت مهين:

- قدرة الـ«ثوتوجرافي» أو طباعة الأفكار على الأسطح المادية من التصنيف الثاني، والذي يشمل التحريك عن بُعد والتأثير في الآلات وثني المعادن.

ابتسم لويد وهو يقول:

- صحيح. أنت ترين أمورًا بعقلك، ترين أحداثًا في أماكن أخرى دون استخدام عينيك، وترين ما يحدث في عوالم خفية، وتطبعين كلاهما على خام الأفلام، بل وتستطيعين التلاعب بكاميرات الديجيتال، وهي قدرة لم نُسجلها من قبل وإن كانت منطقية مع تطور الوسائط والتكنولوجيا. لا بد من مرة أولى دائمًا.

تسأل رجاء عبر ترجمة سهير:

- وماذا حدث لسهير يوم استخدمت الحجرين؟

- أعتقد أن رأي الأطباء صحيح. ضغط دم مرتفع. لكن ما أثار انتباهي أمر آخر تمامًا. التنويم الإيحائي. السيدة التي ذكرتموها لا تمارس التنويم الإيحائي، بل التخاطر العقلي. لدينا أبحاث عن التأثير المُضاعف للتخاطر تحت قبضة المُهدئات.

تسأل رجاء:

- التخاطر؟

- إرسال أفكار إلى عقل شخص آخر يا سيدتي.

يسأل أسامة:

- هذا يعني أن هند لديها موهبة التخاطر وقررت استغلالها بهذه الطريقة، أو أن الأخوات عرفن بموهبتها فاستغللنها.

- ربما. يبدو أن هناك ممارسات عقائدية أو سحرية في الأمر كما

حكيتما لي. الممارسات العقائدية عمومًا سواء لديانات إبراهيمية أو وثنية تؤثر إيجابًا على إيقاظ بعض قدرات ما وراء علم النفس.

تهتف مهين:

- هذا صحيح! بعض ممن يطلقون عليهم «أولياء»، لديهم قدرات غريبة مثل قراءة الأفكار والتواصل مع الكيانات غير البشرية ورؤية لمحات من المستقبل!

يقول أسامة في وقار:

- الإيمان يا مهين. الإيمان يصنع المعجزات، وأعظم الإيمان هو الإيمان بالخالق.

يسعل لويد ثم يقول:

- تقولين يا سيدة زاهر أنك حاولتِ تخدير زوجك تحت تأثير التخاطر.

- أجل. لا أتذكر شيئًا بالطبع من هذا.

- لكن عقلك رفض الصلة الدخيلة. التخاطر ليس سحرًا. ذكرتِ كذلك أنك فقدت وعيك وأنت تستخدمين حجري الأوبسيديان.

- أجل. تقول أختي أنني توقفت عن الكلام والرسم قبل أن أفقد الوعي بدقائق.

حكّ لويد لحيته البيضاء القصيرة وقال:

- لا بد أن هند.. أليس هذا اسمها؟ لا بد أنها شعرت بتلصصك الفكري على المكان، فتحكمت في عقلك، أو أن هناك من رآك وأخبرها. هذا يثبت ألا دخل للتنويم الإيحائي بالأمر. التنويم يحتاج إلى تواصل مباشر.

يسأل أسامة:

- هذا يعني أن صلة التخاطر بين هند والنساء ظلت قائمة طيلة تلك الفترة؟

- هي هيأت عقولهن بالمخدر أو الخمر في أول مرة، وجعلت لنفسها مرساة في عقولهن، فسهُل عليها التحكم فيهن عن بعد. لكن وجب أن تكون على مسافة لا تزيد عن مائتي متر من ضحيتها.

ضحك أسامة وقال:

- نحن لا نتحدث عن سماعة بلوتوث هنا.

بدا الضيق على وجه لويد وهو يقول:

- بل نتحدث عن سماعة بلوتوث يا سيدي. القدرات الفائقة للحواس لها حدود مثلها كمثل حدود موجات الراديو والأشعة. ما زلنا في العالم الفيزيائي. سيدة زاهر لو احتجتِ أي مساعدة راسليني، وأتمنى لو نتقابل في معمل الباراسيكولوجي قريبًا.

ثم هزّ رأسه تحية لأسامة ورجاء وأنهى الاجتماع.

تضرب رجاء على ركبتها وتقول هي تقف:

- لنغلق هذه الصفحة اللعينة. تقطّع قلبي على مصير نورا ويارا وماريان.

ثم التفتت إلى سهير وأسامة عاقدة حاجبيها، مشيرة نحوهما بعكازها:

- وأنتما! كفاكما مراهقة. أنت تحبينه وهو يحبك، أم نسيتما الصداع الذي تسببتما فيه للعائلة كلها حتى نوافق على زواجكما وأنتِ بعد لم تتخرجي؟ شاب شعراكما -لا مؤاخذة يا سهير، هذا تعبير مجازي- ولكما حفيد وابنكما في سن الزواج. هيا قومي اجمعي حاجياتك.

تضرب رجاء المنضدة الخشبية أمامهما وتصيح:

- هيا!

تضحك سهير وتقفز من فوق ساق أسامة الممدّة متجهة إلى حجرة نوم رجاء.

- ماذا يا دكتور؟ اكتفيت من إجازتك؟

- اكتفيت من بعد سهير يا رجاء. لكم أخشى أن تعود لبيتها جسدًا لا روحًا.

- يبدو أنك ماهر في موضوع العفاريت الذي تحبه سهير. أنت صمام الأمان لها. رافقها في جنونها ترافقك في وقارك. تخيل ولو للحظة أنها قد تزوجت لاشين مثلًا. سيارتا سباق بلا مكابح! سهير

من ضلعك يا أسامة، دعها تعد إلى صدرك.

- شكرًا يا رجاء.. شكرًا لأنك في حياتنا.

- اشكرني من بيتك عبر الهاتف أيها المُسن. تحرّك!

*****

ثَتمة

في أحد حقول جنوب مصر وفي الليل البارد، يجلس مهاب أرضًا يرتشف الشاي المغلي على الحطب، وأمامه رجلان لم يرهما منذ تعاونا في الخلاص من رجال ريا وسكينة.

يخرج أحمد السبع منديلًا قماشيا عملاقًا من جيبه، ويثبته بين قائمين خشبيين فيصير مثل شاشة سينما مرتجلة.

يغرس شعبان كشافًا ببطارية خلف المنديل، ويبدأ أحمد السبع في تلاوة استدعاء لملك الجان الخاص بيوم الأربعاء، وهو يضع كفه فوق رأس مهاب.

رأى مهاب لقطات من ذاكرة مهر عن عبادة الآلهة الوثنية، ثم مشاهد تتوافق مع بعض ما حكت له سهير وما قرأ في الصحف عن قضية نادي الصلعاوات.

ماريان ويارا ونورا وهند يحلقن رؤوسهن فتتساقط الخصلات على الأرض وفوق كعكة عيد ميلاد كوكو. تجمع الأخيرة الشعر الفاحم وتُدخله إلى الحجرة الجانبية التي كان ينتظرها فيها صادق البدوي،

مرتديًا عباءة من الحرير الأسود.

يقول صادق:

- هند تستحق أن تأتي خصيصًا لتضموها إلى بنات نيكس.

- لك عين ثاقبة أيها الأخ هيبنوس. أنعمت عليهن بالنوم.

- النوم والليل والموت، ثالوثنا المقدس. لتغزلن أيتها الموايراي ملحمة جديدة في شوارع مصر. النساء هنا يحتجننا.. يحتجن إلى حريتهن.

- لك ما تريد أيها الأخ هيبنوس. هذه بلدك، ونحن إخوتك. سيبدأ الغزل والنسج والقص بشعر النساء الحالك وشعر رجالهن. أضحيات تأخرت كثيرًا واستحقتها الأم نيكس.

- لسنوات حاولت، لكن لكل شيء وقت أيتها الأخت لاشيسيس.

ثم يرى مهاب النسوة الأربع يتعاونّ في الجرائم تحت تأثير التخاطر الذي يتحكم فيه صادق. استدرجت ماريان أمجد كما استدرجت يارا معتز ثم يسحب صادق الجالس في سيارته الفضية وعيهم منهم. بعد إتمام حلق شعر الضحايا، تنزل الضحية بنفسها مُنوَّمة تركب السيارة السوداء حيث تنتظر الأخوات الثلاث، فيمكثون فيها حتى الليل، حتى يُعلَّق الرجال أمام تمثال نيكس في انتظار وقت الحصاد، وقت قص العُقَد.

لم تكن الجرائم سوى اختبار للنساء، وقرابين لنيكس. لم ينجح في

الاختبار إلا هند التي أمرها صادق -عبر التخاطر وهو في سيارة الإسعاف الثانية- بحقن المسعف والسائق بالمُخدِّر حتى يتحكم فيهما ويُظهر للشرطة أنهما تعاونا في تهريب هند. هو من أمرها أن تُحدِث الجرح على رأسه بعد تلقيها خطاب استدعاء الشرطة، ثم نقلها معه إلى المخزن.

صادق هو من دبَّر كل شيء لتقع المسؤولية على هند، لكن لا توجد جريمة كاملة.

لولا التعقيدات التي وقعت بعد تدخل سهير ما حدث كل هذا، وما اضطر إلى وأد وجود طائفة نيكس في مصر وهي بعد في مهدها.

بمناسبة المهد، لم يكن مسموحًا لصادق -أو هيبنوس، كاهن نيكس- أن ينجب سوى فتيات، فما كان منه إلا أن تسلل إلى عقلي الصغيرين وأفزعهما حتى ماتا دون مُسبب واضح.

تذكر انك حملت رواية لاهين الكتاب التاسع نادي الصلعاوات حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

صادق البدوي مُختل، وثني، يضع كل جنونه وكُفره في غلاف براق. نادي الصلعاوات يحرر النساء من ضعفهن. كل رسالة تكتبها عضوة النادي بخطها مصدرها أفكار صادق في عقلها. هو يحيا في نفوسهن

ويعرف صدماتهن ويتعامل معها على أنها صدماته هو ومُحرّك جنونه.

التخاطر ليس آمنًا، وفي كل مرة يستخدم صادق موهبته مع امرأة، يتشبع أكثر بالغضب والجنون كما تتشبع هي به.

***

أفاق مهاب من رؤاه وشكر الرجلين. قال شعبان وهو ينفض جلبابه:

- عرفت من الجاني؟

- عرفت.

- يبدو أنك روحاني شفاف. لا يفلح فتح المندل أغلب الوقت من المرة الأولى. ما بك يا أستاذ مهاب؟ تبدو مختلفًا؟

- قد لا يعرف المرء حقًا أي أفكار تدور في عقله وتسوقه. تصبحان على خير.

تركهما مهاب وعبر الطريق إلى السيارة التي تشبه البارجة الحربية، وركب جوار السائق.

- يبدو أن اللقاء كان مثمرًا.

- بالطبع يا دكتور أسامة. عقلك وعقل الأستاذة سهير لا يُستهان بهما. كيف شككتما في أمر صادق البدوي؟

- لفت نظرنا – أنا وسهير- تفاصيل كثيرة أهمها، لماذا ضربت هند

زوجها على رأسه بينما كان من الممكن أن تخدره ثم تسيطر على عقله؟ كيف لم يلاحظ صادق أن زوجته صلعاء وقد أقرّ أنها كانت تنام جواره وهي ثملة؟ هند لم ترتدي شعرًا مستعارًا طيلة تلك الفترة. إن كانت هند تتحكم في العقول، لماذا لم تتحكم في عقل المسعف والسائق وتنزل من السيارة دون أن تثير الشكوك حولهما؟ في النهاية النتيجة واحدة، لقد هربت. ثم أي نوع من أساتذة الجامعة يجد وقتًا لمراقبة زوجته بهذه الطريقة؟ أنا لا أجد وقتًا لأتنفس.

فتح مهاب نافذة السيارة وهو يقول:

- إن كان صادق يكره هند إلى هذا الحد لماذا اختارها للانضمام إلى عابدات نيكس؟

- وأي عقاب لهند أكبر من أن يسيطر صادق على عقلها للأبد؟ لكن ظلت في عصمته طمعًا في حريتها واستقلالها، والآن جاء وقت العقاب. لم تصر هند من عابدات نيكس، بل من عابدات هيبنوس. صادق لا يختلف في شيء عن الرجال الذين حاول قتلهم.

- رغم ما أعرفه من خلال مهن ما زلت لا أفهم البشر تمامًا.

- انتظر حتى تعرف سهير تلك التفاصيل.

يتصل أسامة بسهير ويهتف:

- نحن على حق!

- ألم أقل لك؟ يبدو أن صلعتينا توافقتا أخيرًا!

وضحك، وانطلق يحكي لها، يحمل الليل صوت حماسيهما إلى مسامعي على خلفية من أغنية لبنانية خافتة تذاع من كاسيت سيارة أسامة.

«كل الأحاديث ما بتفيد.. ما دامك مش معي...»

***

يتململ شعبان محدقًا إلى الليل حوله ويقول:

- هل صرفت الجني؟

- بالطبع.

- هناك شعور غير مريح في المكان. لنتصرف أفضل.

أخذا كشافيهما ورحلا، تركاني واقفًا وسط الحقول في الظلام، وحيدًا. يبدو أن مهاب وأسامة ومهير قادرون على التصرف بدوني. ربما هم قادرون على إنقاذ العالم مما تسببت أنا فيه، عمدًا وبلا قصد.

ربما...

* * * * *

تمت